

IBN BADIS

MAJALIS AL-TADHKIR

1007 24 1983



مجالس التحرير

لفضيلة الاستاذ الرئيس

عبد الحميد بن باديس

رحمه الله



الذكرى الثامنة

٦ جمادى الثانية ١٣٦٧

١٦ ابريل ١٩٤٨

المطبعة الجزائرية الإسلامية بتونس

t.p. after 8p.

Ibn Bādīs, 'Abd al-Hamūd

Majālis al-tadhkir

تفضل فضيلة الأستاذ الجليل كاتب العروبة
الأكبر، وقائد المصلحين الأبر، الشيخ سيدي

محمد البشير الأبراهيمي

رئيس

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

فكتب لنا هذه المقدمة فجزاه الله عن الإسلام
والعروبة والجزائر خيراً

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن كتاب الانسانية العليا استشرفت إليه قبل أربعة عشر قرناً حين ضامها
 بنائها ففعلوها فارتكسوا في الحيوانية السفلى فاخذوا الى الارض فاكثروا فيها
 الفساد ، فانزله الله من السماء ليصالح به الارض وليدل أهلها المستخلفين عليها من
 بني آدم على الطريق الواصلة بالله ، ويجدد ما رث من علائقهم به
 وما أشد شبه الانسانية اليوم بالانسانية قبيل نزول القرآن في جفاف العواطف
 وضراوة الفرائز وتحكم الاهواء والتباس السبل وتحكيم القوة وتغول الوثنية
 المالية. وما أحوج الانسانية اليوم الى القرآن وهي في هذا الظلام الحالك من الضلال وقد
 عجز العقل عن هدايتها وحده كما عجز قديماً عن هدايتها لولا تاييد الله له بالامداد
 السماوية من الوحي الذي يقوي ضعفه اذا أدركه الوهن ويصالح خطاه اذا أختل ميزانه
 وكما أتى القرآن لاول نزوله بالعجائب والمعجزات في اصلاح البشر فانه
 حقيق بان ياتي بتلك المعجزات في كل زمان اذا وجد ذلك الطراز العالي من
 العقول التي فهمته ، وذلك النبط السماوي من الهمم التي نشرته وعممته ، فان القرآن
 لا ياتي بمعجزاته ولا يؤتي آثاره في اصلاح النفوس الا اذا تولته بالفهم عقول
 كعقول السلف وتولته بالتطبيق العملي نفوس سامية وهم بعيدة كنفوسهم

(ب)

وهمهم . أما انتشاره بين المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد ، وبهذا النمط السخيف من الفهم السطحي ، وبهذا الأسلوب التقليدي من التفسير اللفظي — فإنه لا يفيدهم شيئاً ولا يفيد بهم شيئاً . بل يزيدهم بعداً عن هدايته ويزيد أعداءهم استخفافاً بهم وامعاناً في التكالب عليهم والتحكم في رقابهم وأوطانهم ؛ ولو فهمنا القرآن كما فهمه السلف ، وعملنا به كما عملوا به ، وحكمناه في نفوسنا كما حكموه وجعلنا أهواءنا ومشاربنا تابعة له وموزونة بميزانه — أوفعلنا ذلك كما كننا به أعزّة في أنفسنا وأئمة لغيرنا .

تفسير القرآن تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه ، والتفهيم تابع للفهم ، فمن أحسن فهمه أحسن تفهيمه ، ومن لم يحسن فهمه لم يحسن تفهيمه وان كتب فيه المجلدات وأملى فيه ألوف المجالس . وفهم القرآن يتوقف — بعد القريحة الصافية والذهن النير — على التعمق في أسرار البيان العربي ، والتفقه لروح السنة المحمدية المبينة لمقاصد القرآن ، الشارحة لأغراضه بالقول والعمل ، والاطلاع الواسع على فهوم علماء القرون الثلاثة الفاضلة ، ثم على التامل في سنن الله في الكائنات ودراسة ما تستتجه العلوم الاختبارية من كشف لتلك السنن وعجائبها ، وقد فهمه السلف حق الفهم ففسروه حق التفسير مستعينين على ذلك بما ذكرنا من القرائح والأذهان ، وأسرار البيان ، ومستعينين بإرشاده على فقه سنن الاكوان . ولو لم ينحسر تيار الفهوم الاسلامية للقرآن بما وقف في سبيله من توزع المذاهب والعصبية المذهبية لانتهى بها الامر إلى كشف أسرار الطبيعة ومكونات الكون ، ولسبق العقل الاسلامي إلى اكتشاف هذه العجائب العلمية التي هي مفاخر هذا العصر .

كان علماء السلف يشرحون الجانب العملي من القرآن على أنه هداية عامة

(ج)

لجميع البشر يطالب كل مؤمن بفهمها والعمل بها . وكانوا يتحاشون الجانب الغيبي منه لأنه مما لا يصل إليه عقل المكاف فلا يطلب بعلمه ولا يحاسب على التقصير فيه . وكانوا ينظرون الى الجانب الكوني منه نظرات مسددة لو صحبها بحث مسدد ممن أتى بعدهم .

* * *

وللمفسرين من عهد التدوين الى الان طرائق في فهم القرآن وأساليب في كتابة تفسيره . أما الأساليب فقلما تختلف الا بعد العصور حين تختلف الأساليب الأدبية فتتخط أو تعلق فيسري التطور منها الى الأساليب العلمية . أما الطرائق فإنها تختلف باختلاف الاختصاص في المفسرين وعلوم التي غلبت عليهم وعرفوا بها . فالمحدثون ياتزمون التفسير بالمأثور ، فإن اختلفت الرواية فمنهم من يروي المتناقضين ويدعك في حيرة ، ومنهم من يدخل نظره وفكره في التعديل والترجيح كما يفعل أبو جعفر الطبري .

ومقادة المذاهب يفسرن القرآن بقواعد مذاهبهم ويحكمونها فيه فاذا خالف نصه قاعدة من قواعدهم ردوه بالتأويل إليها . وهذا شر ما أصيب به هذا العلم ، بل هو نوع من التعطيل ، وباب من التحريف والتبديل ، لأنه في حقيقة امره وضع لكلام الله في الدرجة الثانية من كلام المخاوق ، وفي منزلة الفرع من اصله يرد إليه إذا خالفه ، واعظام بها زلة ، وان هذه الزلة هي الغالبة من صنيع المفتنين بالمذاهب والمتعصبين لها يتباعدون عن القرآن ما شاء لهم الهوى . فاذا تناولوه فبهذه النظرة الحاطية

والتكلمون في معاني القرآن معظمهم من اللغويين والنحاة فهم يتكلمون غالباً على الالفاظ المفردة وواجه الاعراب فهم اقرب الكابيين في الغريب امثال الاصفهاني وابي ذر الهروي . وانما أطلقوا على كتبهم هذا الاسم (معاني القرآن)

لأن بساطة الاسماء كانت هي الغالبة في زمنهم .
والأخباريون مفتونون بالتقصص فلا يقعون إلا على الايات المتعلقة به .
وياليتهم يحققون الحكمة من القصص فيجلون العبر منها ويستخرجون الدقائق من
سنن الله في الامم وجميع الكائنات . ولكنهم يسترسلون مع الرواية . وتستهويهم
غربة الاخبار فينتهي بهم ذلك الى الاسرائيليات الخاطئة الكاذبة وقد ادخلوا بصنيعهم
هذا على المسلمين ضرراً عظيماً ، وعلى اتاريخ فساداً كبيراً .

واصحاب المذاهب العقلية اذا تعاطوا التفسير لا يتوسعون الا في الاستدلالات
العقلية على اثبات الصفات او نفيا وعلى الغيبيات والنبوات وما يتعلق بها .
والنحاة والباحثون في اسرار التراكيب لا يفيضون الا في توجيه الاعراب
او في نكت البلاغة كما يفعل الزمخشري وابو حيان .

هكذا فعل القدماء والمحدثون بالقرآن حكمه وفيه نحلم ومذاهبهم
وصناعاتهم الغالبة عليهم ، فاضاعوا هديه وبلاغه وابعدوا الامة عنه ؛ وصرفوها
عن حكمه واسراره . ولو ذهبنا مذهب التحديد في معاني الالفاظ الاصطلاحية
لوجدنا المفسر من هؤلاء قليلا .

اما المفسرون الذين يصدق عليهم هذا الوصف فهم الذين يشرحون فقه
القرآن ويستشبهون اسراره وحكمه معتمدين على القرآن نفسه وعلى السنة
وعلى البيان العربي كما اشرنا الى ذلك قبلا . ومن هؤلاء من اقتصر على الاحكام
فقط كابن العربي والجصاص وعبد المنعم بن الفرس وهؤلاء الثلاثة هم الذين
انتهت الينا كتبهم . ومنهم من عمم ولكن توسعه ظاهر في الاحكام احكام
العبادات والمعاملات كالقرطبي وابن عطية واضرا بهما

وكان خمود وكان ركود ، وضرب التقليد بجرانه فقضي على ذكاه الاذكياء

وفهم الفهماء الى ان اذن الله للعقل الاسلامي ان ينفلت من عمال التقليد ، ويستقل في الفهم، وللنهضة العلمية الاسلامية ان يتبلج فجرها ؛ ويعم نورها . فكانت ارهاصات التجديد لهذا العلم ظاهرة في ثلاثة من اذكى علمائنا واوسعهم اطلاعاً : الشوكاني والالوسي وصديق حسن خان . على تفاوت بينهم في قوة النزعة الاستقلالية ، وفي القدرة على التخلص من الصبغة المذهبية التقليدية . ثم كانت المعجزة بعد ذلك الارداص بظهور إمام المفسرين بلا منازع محمد عبده ابلغ من تكلم في التفسير بياناً لهديه وفهماً لاسرارهِ وتوفيقاً بين آيات الله في القرآن ، وبين آياته في الاكوان . فبوجود هذا الامام وجد علم التفسير وتم ولم يعقصه الا انه لم يكتبه بقلمه كما بينه باسانيه ؛ واو فعل لابقى للمسلمين تفسيراً لا للقرآن بل لمعجزات القرآن ؛ ولكنه مات دون ذلك فخلفه ترجمان افكاره ومستودع أسرارهِ محمد رشيد رضا فكتب في التفسير ما كتب ودون آراء الامام فيه . وشرع للعلماء منهاجهِ ومات قبل ان يتمه ؛ فانتتهت إمامة التفسير بعده في العالم الاسلامي كله إلى اخينا وصديقنا ومنشيهِ النهضة الاصلاحية العلمية بالجزائر بل بالشمال الافريقي عبد الحميد بن باديس .

* * *

كان للاخ الصديق عبد الحميد بن باديس رحمه الله ذوق خاص في فهم القرآن كانه حاسة زائدة خص بها . يرفده — بعد الذكاء المشرق ؛ والقريحة الوقادة ؛ والبصيرة النابذة — بيان ناصع ؛ واطلاع واسع ؛ وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية وباع مديد في علم الاجتماع ؛ وراي سديد في عوارضه وامراضه . يمد ذلك كله شجاعة في الراي وشجاعة في القول لم يرزقهما إلا الافذاذ الممدودون في البشر . وله في القرآن راي بنى عليه كل أعماله في العلم والاصلاح والتربية والتعليم . وهوانه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه والاستقامة على طريقته ؛ وهو

راي الهداة المصلحين من قبله . وكان يرى — حين تصدى لتفسير القرآن — ان في تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن العمل المقدم وإضاعة لعمر الضلال. لذلك أثر البدء بتفسيره درساً تسمعه الجماهير فتتبعجل من الاهتداء به ما يهمله المريض المنهك من الدواء ، وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد . وكان — رحمه الله — يستطيع ان يجمع بين الحسينيين لولا انه كان مشغولاً مع ذلك بتعليم جيل وتربية أمة ومكافحة امية ومعالجة أمراض اجتماعية ومصارعة استعمار يؤيدها . فاقنصر على تفسير القرآن درساً ينهل منه الصادي ؛ ويتزود منه الرائح والغادي؛ وعكف عليه إلى أن ختمه في خمس وعشرين سنة . ولم يختم التفسير درساً ودراية بهذا الوطن غيره منذ ختمه ابو عبد الله الشريف التلمساني في المائة الثامنة

كان ذلك الاخ الصديق رحمه الله يعلل النفس باتساع الوقت وانفساح الاجل حتى يكتب تفسيراً على طريقته في الدرس وكان كلما جرتنا شجون الحديث إلى التفسير يتسني علي أن نتعاون على كتابة التفسير ويغريني بان الكتابة علي أسهل منها عليه . ولا أنسى مجلساً كنا فيه نلبي ربوة من جبل تلمسان في زيارة من زياراته لي وكنا في حالة حزن لموت الشيخ رشيد رضا قبل أسبوع من ذلك اليوم فذكرنا تفسير المنار ؛ وأسفنا لانقطاعه بموت صاحبه فقلنا له ليس لا كماله إلا أنت . فقال لي ليس لا كماله إلا انت . فقلنا له : حتى يكون لي علم رشيد وسعة رشيد ومكتبة رشيد ومكانب القاهرة المفتوحة في وجه رشيد . فقال لي واثقاً مؤكداً : إننا لو تعاوننا وتفرغنا للعمل لاخرجنا للامة تفسيراً يغطي على التفاسير من غير احتياج إلى ما ذكرت .

ولما احتفلت الامة الجزائرية ذلك الاحتفال الحافل بختمه لتفسير القرآن عام ١٣٥٧ هـ وكتبت بقلبي تفسير المعوذتين مقتبساً من درس الحتم واخرجه في ذلك الاسلوب الذي قراه الناس في مجلة الشهاب اعجب به ايما اعجاب؛ وتجدد

امله في ان نتعاون على كتابة تفسير كامل . ولكن العوارض باعدت بين
الامل والعمل سنتين . ثم جاء الموت فباعد بيني وبينه . ثم املت الحوادث
والاعمال بعده فلم تسبق للقلم فرصة للتحرير ولا لللسان مجالا في التفسير . وإنا لله

لم يكتب الاخ الصديق اماليه في التفسير ولم يكتب تلامذته الكثيرون
شيئا منها ؛ وضاع على الامة كنز علم لا يقوم بهال ؛ ولا يعوض بحال . ومات
فمات علم التفسير وماتت طريقة ابن باديس في التفسير ، ولكن الله تعالى ابي الا
ان يذيع فضله وعلمه ؛ فاهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس وكان
ينشرها فواتح لاعداد مجلة الشهاب ويسميا (مجالس التذكير) وهي نموذج
صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له . كما انها نموذج من اسلوبه الخطابي واسلوبه
الكتابي .

هذه المجالس العامرة هي التي تصدى الاخ الوفي السيد احمد بوشمال عضد الامام
المفسر وصفيه وكتبه والمؤتمن على اسراره — لتجريدها من مجلة الشهاب ونشرها
كتابا مستقلا ؛ قيما بحق الوفاء للامام الفقيه واحياء لذكراه باسراف اثر من
اثره . وهاهو ذا بين ايدي القراء يستروحون منه نفحات منعشة من روح ذلك
الرجل العظيم ؛ ويقرءونه فلا يريدون عرفانا بقدره فحسبهم ما بنى وشاد ؛ وعلم
وافاد ؛ وما ربي للامة من رجال كالجمال ؛ وما بث فيها من فضائل واداب ؛ وما
ابقى لها من تراث عامي خالد . لا يرثه الاخ عن الاخ ؛ ولا الولد عن الوالد .
وشكرا للاخ الوفي احمد بوشمال على هذا العمل الذي هو عنوان الوفاء

محمد البشير الاسدي القيمي

كتاب

محاسن التذكير

من كلام الحكيم الخبير وحيد البشير الفداير

ويزيد في بيان الذي ينبغي تتبعه للمؤمنين

لفضيلة الاستاذ الرئيس

عبد الحميد بن بابوي

رحمه الله

تأليفه

نشر وطبع

المطبعة الجزائرية الإسلامية

والحقوق محفوظة لها

مجالس التذكير

ننشر في هذا الباب (من مجلة الشهاب) ما فيه
تبصرة للعقول ، او تهذيب للنفوس ، من تفسير آية كريمة ،
او حديث شريف ، او توضيح مسألة في أصول العقائد
او أصول الاعمال معترضين بانظار أئمة السلف الذين لا
يرتاب في رسوخ علمهم ، وكال إيمانهم وأئمة الخلف الذين
درجوا على هديهم في نمط وسط بين الاستقصاء والتقصير

عبد الحميد بن باديس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بتلم المؤلف

وهي خطبة افتتح بها - رحمه الله - درس التفسير

عام ١٣٥٢ هـ *

﴿

الحمد لله حمدا كبيرا كثيرا، ومجدا أكبر، ورفده أكثر،
والشكر لله شكرا جزيلا وفيرا، ونعمته أجزل، ورحمته أوفر،
أحمده قذف بالحق على الباطل فدمغه فأزهقه، وأشكره نصر
حزب الحق ومجديّة آلائه طوقه، وخذل حزب الباطل
وبغصة كيده أشرقه، فله الحمد، وله الشكر بدءا وعودا رب العالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، توحيدا خالصا
إلى في ألوهيته وربوبيته

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله تصديقا صادقا له في نبوته
ورسالته، شهادة تنكب بها عن سبل الغالين والمقصرين

ونكون بها على ملة ابراهيم - عليه السلام - و«ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من
المشركين»

ونرجو بها من فضل ربنا ان نكون مع الذين انعم الله عليهم
من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين

والصلاة والسلام على الشاهد المبشر النذير، الداعي الى الله
بأذنه والسراج المنير، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب العربي القرشي الهاشمي امام الانبياء وخاتم المرسلين،
ورضى الله عن آله الطيبين الطاهرين، وعن اصحابه الهادين
المهتدين وعن أئمة الهدى من صالح سلف المؤمنين، وعن
التابعين لهم باحسان من جميع المسلمين

اما بعد فقد عدنا - بفضل الله - الى رياض القراءان الموقفة،
وانهارة العذبة المتدفقة، وانوار الواضحة المشرقة.

تتعط بمواعظه المليئة للصخور، وتتعالج بدوائه الشافي لما
في الصدور ونستهدي بهداه الموضح للصراط المستقيم،
ونستنزل رحمته العامة للمؤمنين.

وعدنا - والحمد لله - الى مدارس القراءان العظيم الذي (١)

(١) قد وصف القرآن العظيم بهذه الصفات في حديث الترمذي وغيره

أنزله الله أمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه
نبؤنا وخبر من كان قبلنا وحكم ما بيننا لا يخلق على
كثرة الرد ولا تنقضي عبرة، ولا تقنى عجائبه لا يشبع
منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، هو الحق ليس بالهزل.
من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن تيمم به قسط،
ومن عمل به اجر، ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم
من طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله
هو الذكر الحكيم، هو النور المبين، هو الصراط المستقيم.
هو حبل الله المتين فمن تمسك به نجا. ومن تركه كان
من الهالكين — عياذا بالله السميع العليم.

فالله نسأل — كما وفقنا لقراءته ومدارسته —
يوفقنا لفقهه ومتابعته. وان يجعله — في الدارين — حجة
لنا لا علينا. وان يكون نورا لنا في الدنيا والاخرة. وفي
عرصات القيامة، وعلى متن الصراط حتى ندخل معه الجنة
دار السلام بسلام آمين

آمين يا رب العالمين

مجالس التذكير

التذكير

حقيقته ؛ حاجة الخلق اليه ؛ البقائمون به ، تذكير
النبي (ص) ما كان يذكر به من كان يذكر
مشروعية التذكير في الاسلام

حقيقة التذكير ان تقول لغيرك قولاً يذكر به ما كان به جاهلاً او عنه ناسياً
او غافلاً ، وقد يقوم الفعل والسمت والهدي مقام القول فيسمى تذكيراً مجازاً وتوسيعاً .
ويجمع الثلاثة قولك : عباد الله الصالحون يذكرون الخلق بالخالق باقوالهم واعمالهم
وسمتهم .

وحاجة العباد الى هذا التذكير اعظم ما يحتاجون اليه واشرفه والزمنه ، فان
سعادتهم الحقيقية في هذه الحياة بآثارة عقولهم ، وزكاة نفوسهم ، واستقامة سلوكهم ،
وفي الحياة الاخرى بنعيم الجنان وحاول الرضوان — انما هي بايمانهم بربهم وشكرهم
له . وان دلائل وجوده ووحدانيته وقيوميته ، وآثار فضله واحسانه ورحمته ..
ماثلة في الكون بادية للعيان ، داعية الى الشكر هادية الى الايمان . اسكن العقول
كثيراً ما تكون مغلوطة بقيود ادوائها ، محجوبة بحجب غفلتها ، فتعصى عن تلك الدلائل
والآثار فتكفر كفر جحود وعناد او كفر عصيان وطغيان ويكون تورطها في كبائر
الذنوب وصغائرها على مقدار تلك الحجب وتلك القيود . وليس — اغير من عصم الله —
انفسك او خروج منها كلها . فهم اذن باشد الحاجة الى تذكيرهم بتلك الدلائل
وتلك الآثار ليحصلوا اسباب سعادتهم بالايمان والشكر

قد علم الله حاجة عباده الى التذكير فاصطفى منهم رجالاً انعم عليهم بكمال

القطرة ووقاية العصمة وارسلهم لتذكير العباد ، (رسلا مبشرين ومنذرين ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) ، (وما اهلكنا من قرية الا لهما منذرون ذكرى ، وما كنا ظالمين) فلا نبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام هم أولوا هذا المقام الجليل مقام التذكير ثم من بعدهم ورثتهم من العلماء العالمين . قد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سنة اخوانه من الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في اقيام بتذكير العباد ، ممثلا أمر ربه تعالى له بقوله (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) اذ السيطرة لا تكون على القلوب ، والايمان — وهو من أعمال القلب — لا يكون بالاكراه وانما يكون بذكر الحجج والادلة ، وكذلك كانت سنة المرسلين في الدعوة الى الله كما قصها علينا القرآن الكريم في كثير من السور والآيات

كان صلى الله عليه وآله وسلم يذكرهم بقوله وعمله وهديه وسنته ، وكان ذلك كله منه على وفق هداية القرآن وحكمه ، وقد قالت عائشة الصديقة رضوان الله عليها لما سئلت عن خلقه — والخلق هو الملكة النفسية التي تصدر عنها الاعمال — قالت : كان خلقه القرآن فكان تذكيره كله بآيات القرآن : يتلوها ويدينها بالبيان القولي والبيان العملي ممثلا في ذلك كله أمر ربه تعالى له بقوله : (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فالقرآن وبيانه القولي والعملي من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهما يكون تذكير العباد ودعوتهم لله رب العالمين ومن حاد في التذكير عنهما ضل وأضل وكان ما يضر أكثر مما ينفع ان كان هنالك من نفع

كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يفتا مذكرا للمؤمنين والكافرين والله يهدي من يشاء ويوفق من يريد . وقد أمر بالتذكير مطلقا في قوله تعالى (فذكر انما أنت مذكر) وكانت سيرته العملية في التذكير هي العمل بهذا الاطلاق فما كان ينحصر قوما دون قوم في الدعوة والتذكير فكانت هاته السنة العمالية دليلا على أن ما جاء

على صورة التقييد في بعض الآيات ليس المراد منه التقييد ، ومن ذلك قوله تعالى
 (فذكر ان نفع الذكرى) فالشرط الصوري هو للاستبعاد أي استبعاد نفع الذكرى
 فيهم ولا يزال من اساليب العربية في لسان المتخاطب الدارج بيننا قول الناس لبعضهم :
 « كلبه في كذا اذا نفع فيه الكلام » استبعادا لنفعه فيه . ومن ذلك قوله تعالى
 (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فليس ذكر المفعول للتقيد وانما هو للتنبيه على
 انه هو الذي ينفع بالتذكير نظير قوله تعالى : (هدى للمتقين)

ولحاجة العباد للتذكير ومنزلته من الدين شرعه الله للمسلمين شرعا موقتا في
 خطب الجمع والاعياد ، وشرعا مرسلا موكولا للمذكرين على ما يرونه من نشاط
 الناس وحاجتهم ، كما كان يتخول الانبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس بالموعظة
 وطلبه طلبا عاما من جميع المؤمنين في قوله تعالى : (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)
 في صفة المؤمنين العاملين .

وسيكون هذا الباب من المجال * محالا لفنون من التذكير جعلنا الله والمؤمنين
 من أهل الذكرى ونفعها بها دنيا وأخرى

الفرقان

« تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين »
 « نذيرا الذي له ملك السموت والارض ولم يتخذ ولدا »
 « ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا »

المفردات : « تبارك » مادة ب ر ك كلها ترجع الى معنى الثبوت منها برك الابل استناحتها ، والبركة كالقربة مثل الحوض يثبت فيها الماء ، والبراكاء الثبات في الحرب ، ومنها البركة بمعنى النماء والزيادة ولا ينمو ويزيد الا ما كان ثابت الاصل وشأن ثابت الاصل ان ينمو ويزيد فلم تخرج عن معنى الثبوت . وتبارك من البركة فمعناه تزايد خيره والله تعالى له السكمال ومنه الانعام فتبارك اي تزايد كماله وانعامه فلا تحصى انعاماته ولا تحد كمالاته . وثبوت السكمال يتنافى وينفي ضده فيقتضى التنزه عن النقص فانظم اللفظ ثلاثة معاني التنزه عن النقص والاتصاف بالكمال والافاضة للانعام فتبارك (تقدر وتعظم) الفعل الاول مفيد الاول والفعل الثانى مفيد للثاني والثالث « نزل » مادة ن ز ل كلها ترجع الى معنى الهبوط من عل والحلول في اسفل . ونزل المضاعف ابلغ في المعنى من انزل وقد يفيد كثرة النزول كما هنا لانه نزل مفردا على نيف وعشرين سنة . وقد يفيد القوة في نزول واحد كما في « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » لان تنزيل الجملة اقوى من انزال التفصيل « الفرقان » اصله مصدر فرق بمعنى فصل وهو ابلغ في الدلالة على المعنى من فرق المصدر المجرد بما فيه من زيادة الالف والنون كما كان القرعان ابلغ من القراعة لذلك . وهو هنا اسم

من اسماء هذا الكتاب الكريم « نذير » مادة ن ذ ر كلها ترجع الى الاعلام والتحيتيم فمنها نذر على نفسه الصوم اوجبه وحتمه واعلم به ونذر بالعدو كفرح علم به وانذره اعلمه ولا يستعمل الا في ابلاغ ما فيه تخويف فهو اعلام بتاكيد وتحيتيم . ونذير هنا بمعنى منذر من فعيل بمعنى مفعول .

التراكيب : « الذي نزل » عرف المسند اليه بالموصلية لزيادة تقرير الغرض الذي اليه سيق الكلام لان الغرض بيان كمالات الله تعالى وانعاماته وتنزيل الفرقان منها فهو من اعظم نعم الله على البشر ومن آيات الله الدالة على قدرته وعلمه وحكمته . « عبده » اضافة تشريف لانه اكمل العباد

المعنى : تقدر وتعظم الرب الذي نزل الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال وحزبيهما من الناس مفصلا آيات آيات على محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — اكمل عبادته ليكون بذلك الكتاب لجميع الانس والجن منذرا لهم يعلمهم بعذابه ويخوفهم بشديد عقابه ان لم يعبدوه وحده ويخلعوا غيره من آلهتهم الباطلة ويدخلوا في الدين الذي جاءهم به وهو الاسلام .

توحيد : هذا الفعل وهو « تبارك » لا يسند الا الى الله تعالى . ذلك لان العظمة الحقيقية بالكمال والانعام والتقديس بالتنزه التام ليسا الا له وما من كامل من مخلوقاته الا وهو — جل جلاله — الذي كمله وما من منعم عليه منهم الا وهو تعالى الذي انعم عليه وما من زكي منهم الا وهو — سبحانه — الذي زكاه

سلوك : هذا الرب الكامل المكمل المنعم المتفضل القدوس المقدس هو الذي انزل هذا الفرقان فاذا اردت ان ترقى في درجات الكمال وتظفر بانواع الانعام وتزكي نفسك الزكاء التمام فعليك بهدي هذا الفرقان فهو بساط القدس . ومعراج الكمال ومائدة الاكرام وقد سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت كان خلقه القرآن .

تفقه واستنباط : لما سمي الله كتابه الفرقان علمنا انه به يفرق بين الحق والباطل واهل هذا وذاك فهو الحكم العدل والقول الفصل بين كل متنازعين يدعي كل منهما انه على الحق فيما هو عليه من عقد او قول او عمل فما تقابل حق وباطل وما تعالجت حجة وشبهة الا وفي هذا الكتاب الحكيم ما يفرق ما بينهما وانما يتفاوت الناس في ادراك ذلك منه على حسب ما عندهم من قوة علم وصدق بصيره وحسن اخلاص فعلينا — اذا — ان يكون اول فزعنا في الفرق والفصل اليه ، وان يكون اول جهدنا في استجلاء ذلك من نصوصه ومراميه مستعينين بالسنة القولية والعملية على استخراج لآليه . فاذا حكم قبلنا وسلطنا وكنا مع ما حكم له وفارقنا ما حكم عليه ؛ فالتة سماه الفرقان لنعلم انه فارق بنفسه . ولنعمل بالفرق به ولا يكمل ايماننا بانه الفرقان الا بالعلم والعمل .

ولما جعل — تعالى — غاية تنزيل الفرقان ان يكون عبده نذيرا اقتضى ذلك ان نذارته تكون بالفرقان لتقوم الحجة وتتم الحكمة . ونحصل الفائدة وتشمل النعمة . وقد صرح بهذا في قوله تعالى بالاعراف « كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به » وبالاانعام « واوحى الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ » وبالنمل « انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اسلم وان اتلو القرآن » وبق « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » وبالتوبة « وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله » فعلينا — اذا — ان نعلم ان القرآن هو كتاب النذارة والهداية فنستخرج اصولها وفنونها من آياته وهذا حظ العلم . وان يكون اهتداؤنا في انفسنا وهدينا لغيرنا به وهذا حظ العمل وهما ركننا الايمان .

تطبيق وتحاكم : في العالم الاسلامي كله اليوم طائفتان من المؤمنين تتنازعان خطة الهداية والنذارة والتذكير ولكل منهما في سلوكها للقيام بتلك الخطة سبيل

وكل منهما تدعى أنها هي التي على الصواب وانسها الاحق والاولى بنفع العباد .
فراينا ان نطبق فصل الفرقان عليهما وننظر كيف يفرق ما بينهما وبين المصيبة من
المخطئة منهما وفي ضمن ذلك تحاكمهما اليه وفصل النزاع بينهما بحكمه . وانما
اخرناهما للتطبيق والتمثيل لخطر الخطاة التي تنازعا عليها ؛ وعظيم النفع والضرر
الذي يحصل من خطأ المخطيء وصواب المصيب بها ، ولان الهداية والنذارة
والتذكير امور لها انزل القرآن فتنازعهما عليهما تنازع عليه فاحق فصل نمثل به
لعمله هو فضله بين المتنازعين فيه . وهانحن نعرض بعض حال كل طائفة في قيامها
بالخطاة ثم نسوق آيات القرآن وننظر من اسعد الطائفتين بها :

الطائفة الاولى — يذكرون من يدعونهم بغير القرآن باحزاب واوراد من
وضعهم لا مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا قليلا . ولهم عليهم في
اموالهم حق في اوقات من السنة معلومة

والطائفة الثانية يذكرون الناس بالقرآن فيامروهم بقراءته وتديره ويسببون
لهم معانيه ويحثونهم على التمسك به والرجوع اليه

ويدعونهم الى الاذكار النبوية الثابتة في الكتب الصحاح لرجوعها الى القرآن
بحكم قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه » ولا يطلبون عليهم في ذلك
أجراً .

والله تعالى يقول في الحال الاول « فذكر بالقرآن » وغيرها من الايات
المتقدمة في هذا المجلس ويقول — تعالى — في الحال الثاني لنبيه صلى الله عليه
وآله وسلم - (قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء ان يتخذ إلى ربه سبيلا)
(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ويقول في آية صريحة
صراحة تامة في بيان من يجب ان يتبع من الدعوة (اتبعوا من لا يسئلكم أجراً
وهم مهتدون) ومن هم المهتدون ؟ هم المتبعون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوله

تعالى في الاعراف (فثامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
واتبعوه لعلكم تهتدون) واتباعه بالنسبة لموضوعنا هو اتباعه في طريق دعوته الخلق
الى الله وقد ثبت بالقرآن انه كان يدعو بالقرآن ويذكر به وانه لا يسئل على
ذلك أجراً

بان — والحمد لله — بما ذكرنا حكم القرءان بين الطائفتين واتضح طريق
الحق في الدعوة والارشاد لمن يريد سلوكه منهما . والله نسئل لنا ولهم قبول الحق
والتعاون عليه والقوة والاخلاص في الصدد به والثبات عليه و (ثبت الله الذين
ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله
ما يشاء) .

منزلة الرسالة العلية

والضرورات البشرية

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام »
« ويمشون في الاسواق »

المناسبة : لما طعنوا في رسالته بانه بشر يفعل ما يفعله البشر بقولهم (مال هذا
الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق) رد الله عليهم بان هذا هو حال جميع
المرسلين من قبله واحتج عليهم بما يعلمون من ذلك بما يسمعون من اهل الكتاب
جيرانهم وبما عندهم من أخبار عاد وثمود من بني جلدتهم .

المفردات : الارسال هو البعث لتبليغ شيء او قضائه . وفي لسان الشرع هو
انزال الله تعالى الوحي على من اضطره من خلقة لينذر به من امره بانذاره . من قوله
تعالى (وانه لئنزل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من
المنذرين) فالرسالة وحي مع امر بالتبليغ

التراكيب : مفعول أرسلنا محذوف تقديره رجالا وعليه عاد الضمير في أنهم وهو صاحب الحال والحال هي الجملة التي بعد الا والجملة الثانية حال بالعطف على الاولى والاستثناء مفرغ من الاحوال ، وتقدير الكلام : وما أرسلنا قبلك رجالا من المرسلين إلا حالة أنهم ليا تكون الطعام ويمشون في الاسواق . اي ما أرسلناهم في حالة من الاحوال إلا في هذه الحال . وان واللام والحصر بما والا كل هذه لتأكيد المعنى الذي سيق اليه الكلام وهو اثبات ان رسول البشر لا يكون إلا بشراً رداً على منكري ذلك من المشركين . وعبر بالمضارع في ياكلون ويمشون لان ذلك من ضروريات بشريتهم فهو يتجدد ويتكرر منهم . وأكل الطعام والمشي في الاسواق كناية عن البشرية لانهما وصفان لازمان لها

المعنى : وما ينكر عليك هؤلاء من أكلك الطعام ومشيك في الاسواق مع انك رسول الله وقد علموا انه ما من رسول كان قبلك إلا وهذه حالته وما انت إلا واحد منهم فلا عيب عليك في ذلك ولا حجة لهم عليك به

تاريخ : هذه المقالة شتنة قديمة من الامم التي ارسلت اليها الرسل فقابلتها بالجهل والعناد . فقد قال لنوح قومه « ما نراك إلا بشراً مثلاًنا » وقال لهود قومه « ما هذا إلا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون » ولصالح « ما أنت إلا بشر مثلاًنا » ولشعيب « وما أنت إلا بشر مثلاًنا » ولموسى وهرون « أنؤمن لبشرين مثلاًنا » وفي سورة ابراهيم عن قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم أنهم قالوا لرسولهم « إن أنتم إلا بشر مثلاًنا » فقال المشكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قاله أمثالهم لاخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام

تعليق : ما اعترض المعترضون على الرسل ببشريتهم الا من جهلهم وسوء نظرهم وغباوتهم اما جهلهم فقد جهلوا ما في البشرية من استعداد لنيل أرقى الكمالات وجهلوا ما تقتضيه الرسالة من مشاكلة بين الرسول والمرسل اليهم

لتحصل المفاهمة والاتصال . وجهلوا ما يؤهل به البشر لرتبة الرسالة من كمال في الروح والعقل والاخلاق والسلوك مما كان الرسل متصفين به ككله أمام أعين أقوامهم . واما سوء نظرهم فانهم نظروا الى بشرية الرسل ففاسوهم بهم وقالوا لهم أنتم مثلنا مع وجود الفارق الواضح بينهم وبين الرسل في الصفات النفسية التي بها كمال الانسان ، واما غباوتهم فانهم لغلبة الجسمانيات على حسهم واهمالهم استعمال عقولهم لم يتفطنوا للكمال المشاهد الذي امتاز به الرسل بين اقوامهم

تعليم : هذه العلل التي صدر اعتراض المعترضين عنها قد علمنا الله تعالى في كتابه العزيز ما يعصنا منها . فعلمنا ان الانسان مستعد لان تخضع له العوالم بما فيه من روح الله وانه يلتحق بعالم الملائكة الاطهار بتلك الروح عند ما تكون على اصل طهرها وقدسها . علمنا هذا بقوله تعالى (فاذا سويته وتفتحت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فاخضع له ملائكته اشرف العوالم وبقوله تعالى (قال يا آدم أنبئهم باسمائهم) فانصل بهم وخاطبهم وعلمهم . فلا عجب ان ياتي المائلون له من ابنائه في طهره وعصمته على سنته في الاتصال بالملائكة ومخاطبتهم وعلمنا ان الرسول لا يكون الا من جنس المرسل اليهم ليحصل الاتصال ويمكن التلقي وان أهل الارض لو كانوا ملائكة لارسل لهم ملك وانهم لو أنزل عليهم ملك وهم بشر لكسي حلة البشرية ولا لبس عليهم أمره ولقالوا فيه مثل ما قالوا في المرسلين من البشر . علمنا هذا بقوله تعالى (قل لو كان في الارض ملائكة يشكون مطمئنين لئلا نزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) وبقوله (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رسولا وللبسنا عليهم ما يابسون) وعلمنا ان البشر يؤهل للرسالة باصطفاء الله له ومن مقتضى ذلك الاصطفاء تطهيره من أول نشأته من أضرار البشرية وظلم الجسمانية وتسفلها فتبقى روحه على غاية الطهر والعلوية النورانية مستعدة للاتصال بالملا الاعلى حتى تستكمل قواها فيأتيها الملك بالوحي . علمنا هذا بمثل قوله تعالى (الله يصطفى من الملائكة

رسلا ومن الناس) وقوله « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » وقوله « واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك » وقوله « الله أعلم حيث يجعل رسالاته » وغيره كثير . وعلمنا ان الرسل وان كانوا موافقين لنا في الحلقة البشرية فانهم مباينون لنا غاية المباينة في الحلقة النفسية من حيث الطهر والكمال . فنفسهم بقيت على طهرها لم تدنس بشيء ونفوسنا لا تخلو من تدنس والموفق من داوم على غسلها بالتوبة وتحليتها بالصالحات . وكألهم فطري ويبلغون فيه بعملهم المتواصل وعصمتهم الربانية الى الغايات التي لا تتنازل وكألنا ليس كذلك في الامور الثلاثة الفطرة والعمل المتواصل والعصمة . علمنا هذه بقوله تعالى (ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) فبالنظر الصحيح فيما من الله عليهم به ندرك انهم ليسوا مثلنا وان ساوونا في الحلقة البشرية . وعلمنا ان لا ننظر الى ظواهر الامور دون بواطنها والى الجسمانيات الحسية دون ما وراءها من معان عقلية بل نعبر من الظواهر الى البواطن وننظر من المحسوس الى المعقول ونجعل حواسنا خادمة لعقولنا ونجعل عقولنا هي المتصرفة الحاكمة بالنظر والتفكير . علمنا هذا بقوله تعالى (لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث) فلا ينظر الى بهرجة الكثرة ولكن الى حقيقة وحالة الشيء الكثير فيعتبر بحسبهما وبقوله (فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فمقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانني ، كلا) فلا يجوز ان نفتخر بالمال والقسوة والجاه وأنواع النعيم اذا سيقت إلينا فنحسب أنها هي نفس الكرامة الربانية التي دعيانا الى العمل لنيلها بل انما نعدّها كذلك إذا كان معها التوفيق إلى شكرها بالقيام بحقوقها وصرفها في وجوهها . ولا نفتخر بحالة الضيق والعسر والضعف فنحسب أنها إهانة من الله لهاحبها بل علينا أن ننظر الى ما معها من صبر ورجاء وبر او صبر وياس وفجور فنعلم حينئذ أنها مع الاولى للتحريض والتشبيث ومع الاخرى للزجر والعقاب بعدل وحكمة من أحكم

الحاكمين . وبقوله تعالى « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد »
 فعلينا انه بشر ولكن له خصص بالوحي اليه بتوحيد الله وبما يقتضيه مقام الالياء
 اليه من طهر وكمال حتى لا تحجب عنا بشرته التي نشاهدها باصارنا كمال حاله
 ومنزلته الذي ندركه ببصائرنا

عقيدة : الرسول إنسان ذو روح طاهرة نورانية علوية بها تاتي له تلقي
 الوحي من الملائكة وذو جسد بشري تجري عليه ضروريات البشرية الخلقية دون
 نقائصها الكسبية لانه مصرف بتلك الروح العلوية الطاهرة التي لا يصدر عنها إلا
 الخير وبهذا الجسد البشري تاتي للبشر الاخذ عنه والافتداء به . وماخذ هذه العقيدة
 من الايات التي تلوناها في فصل التعليم المتقدم

تحذير : علينا ان نحذر من أن نعترض او نحكم بالنظر السطحية دون بحث
 عن الحقائق ، أو أن نلحق شيئاً بشيء دون ان نتحقق انتفاء جميع الفوارق . فقد
 انتشرت بعدم الحذر من هذين الامرين جهالات وارتكبت ضلالات . وبالنظر
 السطحي ازدرى إبليس آدم فامتنع من السجود له واعترض على خالقه فكانت عليه
 اللعنة إلى يوم الدين وبعدم النظر إلى الفوارق قال أحد ابني آدم لآخيه لما تقبل
 قربانه دونه هو « لاقتلنك » حتى ذكره أخوه بوجود الفارق فقال « إنما يتقبل
 الله من المتقين » وحقيقة الاول ترجع الى الجهل المركب وحقيقة الثاني ترجع إلى
 القياس الفاسد وهما أعظم أصول الفساد والضللال

سلوك : الانبياء والمرسلون أكمل النوع الانساني وهم المثل الاعلى في كماله
 وقد كان أصل كمالهم بطهر ارواحهم وكمالها فاقبل على روحك بالتزكية والتطهير
 والترقية والتكميل ولا سبيل الى ذلك إلا بالافتداء بهم والاهتداء بهديهم وقد قال
 الله تعالى لنبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم
 اقتده » فاقراً ما قضه القرآن العظيم من أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم وسيرهم وتفقه فيه
 وتمسك به تكن — إن شاء الله تعالى — من الكاملين

فتنة العباد بعضهم ببعض

« وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا »

المناسبة : أفاد ما تقدم من الآية أن الرسل ياكلون الطعام فيحتاجون للغذاء وتحصيله وأنهم يمشون في الأسواق للسعي والتكسب وأفاد آخر الآية الحكمة الربانية في ذلك وهو أن يكون بذلك فتنة واختبار للعباد وتلك سنة الله تعالى في خلقه فقد جعل بعضهم لبعض فتنة

المفردات : قال في « لسان العرب » الأزهري وغيره جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار واصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب اذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد اه ومنه قوله تعالى (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) و (انما أموالكم وأولادكم فتنة) و (فتناك فتونا) و (نبلوكم بالشر والخير فتنة) . (أنصبرون) الصبر حبس النفس على المكروه . والمكروه لها فعل ما فيه تعب وترك ما فيه لذة ويكون في المشروع والمقدور ففي الاول بالقيام بالأمورات والترك للمنهيئات وفي الثاني — وهو المصائب والبلايا — بالرضا والتسليم للخالق وعدم الاعتراض عليه وعدم السعي في إزالتها بغير الوجه المأذون فيه و (البصير) هو المشاهد للأشياء ظاهرها وباطنها ذواتها ونعوتها وأحوالها . مبادئها وغاياتها وعواقبها

التراكيب : الاستفهام في أتصبرون بمعنى الأمر اي اصبروا وخرج الأمر في صورة الاستفهام تنبيها على قلة الصبر في الوجود فهو من الأمر المعدوم الذي يسأل عنه هل يوجد وفي ذلك بعث للهم على تحصيله والتمسك به . وجملة (وكان الخ) معطوفة على جملة (وجعلنا) وعدل عن مقتضى الظاهر وهو وكنا بصرا بالاضمار الى وكان ربك بصيرا بالاعتماد على ان فتنته لعباده من مقتضى ربوبيته لهم وحسن تدبيره فيهم . موقع هذه الجملة بعد الجملة الاولى لبيان ان فتنته

لهم هي عن علم وبصر بصواب ذلك وحكمته . وانه مطلع على حقيقة ما يكون منهم عند الاختبار ليجازيهم عليه وفي هذا وعد ووعد للممتحنين

المعنى : امتحنا بعضكم ببعض لتظهر حقائقكم عند الامتحان . جعلنا الرسل ياكلون كما ياكل البشر ويتكسبون كما يتكسبون لمتحن العباد بهم فيظهر من يتبعهم بالايان واليقين لما معهم من الحق والكمال ويصبر على ما يلحقه في اتباعهم من الجهد والبلاء ممن يحتقرهم ويعرض عنهم لما يرى من بشرتهم كما جعلنا الامم فتنة لرسلاها وامتحانا لهم ليظهر صبرهم على ما يلاقون منهم من اذية وشر فتعلو درجاتهم ويضاعف أجرهم . وجعلنا الغني امتحانا للفقير حتى يظهر صبره على حاله وكفه لعينه ويده عن شيء غيره كما جعلنا الفقير امتحانا للغني حتى يظهر صبره على القيام بواجبه نحوه . وجعلنا الصحيح فتنة للمريض حتى يظهر صبره على بلواه ورضاه بما أعطاه الله كما جعلنا المريض فتنة للصحيح حتى يظهر صبره على القيام بواجبه نحوه من العطف عليه وعيادته ومواساته . وجعلنا الرعية فتنة للراعي حتى يظهر صبره على القيام بواجب رعايتها كما جعلنا الراعي فتنة للرعية ليظهر صبرها على طاعته وهــ كذا في جميع أقسام الناس . أتصبرون على هذا الامتحان فان الصبر عليه عزيز شديد فاصبروا فانه لا يخرجكم من هذا الامتحان خالصين خلوص الذهب الابريز الا الصبر وكان ربك يا محمد بصيرا عالما بعاقبة الامتحان في عباده مطلعا على كل ما يكون منهم عند الامتحان ليجازيهم عليه

سؤال وجوابه : الله تعالى عالم بما يكون من عباده بعد امتحانهم قبل ان يمتحنهم فما هي حكمة الامتحان . والجواب أن الله تعالى انما يحاسب عباده على ما عملوه وكسبوه واكتسبوه بما عندهم من التمكن من الفعل والترك وما عندهم من الاختيار لا على ما علمه منهم قبل ان يعملوه فلماذا يمتحنون لتظهر حقائقهم ويقع جزاؤهم على ما كسبت أيديهم باختيارهم ولا حجة لهم في تقدم علمه تعالى بما يكون منهم لان تقدم العلم لم يكن ملجئا لهم على أعمالهم ففي هذا الامتحان قيام

حجة الله على العاملين أمام أنفسهم وأمام الناس كما فيه إظهار حقيقتهم لأنفسهم
ولغيرهم

تطبيق : كما يفتن الفرد بالفرد كذلك تفتن الأمة بالأمة من ذلك اننا
— معشر الأمة الاسلامية — قد فتننا بغيرنا من امم الغرب وفتنوا هم أيضاً بنا .
فنحن ندين بالاسلام وهو دين السعادة الدنيوية والاخرية ولكن حينما كنا — إلا
قليلا — لسنا سعداء لا في مظاهر تديننا ولا في أحوال دنيانا ففي الاولى ناتى بما
يسرأ منه الاسلام ونصرح بانه من صميمه وفي الثانية ترانا في حالة من الجهل والفقر
والتفرق والذل والاستعباد يرثى لها الجماد فلما يرانا الغربيون على هذه الحالة ينفرون
من الاسلام ويسخرون منه إلا من نظر منهم بعين العلم والانصاف فانه يعرف ما
نحن عليه هو ضد الاسلام فكنا فتنة عظيمة عليهم وحجابا كثيفا لهم عن الاسلام
فكنا — ويا للأسف — فتنة للقوم الظالمين . وهم من ناحيتهم نراهم في عز وسيادة ،
وتقدم علمي عمراني فننظر الى تلك الناحية منهم فنسندفع في تقليدهم في كل شيء
حتى معائبهم ومفاسدهم ونزدري كل شيء عندنا حتى أعز عزيز الا من نظر بعين
العلم فعرف ان كل ما عندهم من خير هو عندنا في ديننا وتاريخنا وان ذلك هو هو
الذي تقدموا وسادوا به وان ما عندهم من شر هو شر على حقيقته وان ضرره فيهم
هو ضرره وانه لا يجوز ان يتابعوا عليه فكانوا فتنة لنا حتى يظهر من ينظر بعين
الحق للحقائق ممن تبهره الظواهر فتسلبه إدراكه فيغدو لا يفرق بين اللب
والقشور

اقتداء : علمنا من هذه الاية وغيرها ان الله تعالى يمتحن عباده ويختبرهم ليظهر
حقائقهم فلنقتد به تعالى في هذا فنبنئ أمورنا على الامتحان والاختبار فلا نقرر
علماً ، ولا نصدر حكماً إلا بعد ذلك ، وخصوصاً في معرفة الناس والحكم عليهم
فالظواهر ككثيراً ما تخالف البواطن والتصنع والتكلف قلما يسلم منهما أحد ولا
يعصم من الخطأ مع هذه المغلطات كلها الا الامتحان والاختبار فاعتصم بهما

اهتداء : كل من اتصل بك من اهلك وبنيك وأبيك وأمك وأصحابك وعشيرتك وقومك وكل من ترتبط به برباط من ابناء جنسك — هو فتنة وامتحان لك هل تقوم بواجبك نحوه من جلب خير له او دفع شر عنه او جلب خير منه لغيره او دفع شره عن غيره، وهل تكف يدك عن شيء وتكف بصرك عما متع به، وتسال الله مما عنده من فضله؟ وانما تقوم بواجبك نحوه مما تقدم وتكف يدك وعينك عنه وتسال الله مما عنده راضيا بما قسم لك معتقدا الخير كل الخير في قسمه — اذا تدرعت بالصبر على إتيان ما يطلب منك إتيانه وان كان عليك ثقيلًا. والكف عما يطلب منك الانكفاف عنه وان كان منك قريبًا وفي طبعك لذيًا، وانما يكون لك هذا الصبر اذا كنت دائم اليقين بعلم الله بك واطلاعه عليك وانه كان بك بصيراً

هذه الحقائق كلها هدتنا هذه الآية الكريمة اليها : هدتنا الى انا امتحنا ببعضنا . وان السدى يخلصنا في هذا الامتحان ويخرجنا سالمين هو الصبر ، وان حالتنا في الامتحان منكشفة لمن سيجازينا عليها . فلنهدد بهدائتها الى ما هدتنا اليه . ولنتدبر في هذا الامتحان العظيم بالصبر المتين ولنستحضر في قلوبنا مراقبة الله لنا لتثبت قدمنا في مقام الصبر بروح اليقين . فبذلك نخرج — ان شاء الله تعالى — من نار الفتنة ذهباً خالصاً نقياً ، وجوهرأ طيباً زكياً فنسعد في الدارين برضى رب العالمين ، والله ولي التوفيق

ندامة الظالم

على تركه السبيل القويم ، وصحبته للمضلين

(ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يوليتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني و كان الشيطان للانسان خذولا)

المناسبة : لما سال المشركون ان يروا الملائكة أخبروا بانهم سيرونهم في يوم يكون شره عليهم عظيما . وذكر في الايات السابقة ما يكون في ذلك اليوم من حبوط أعمالهم وتشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة وغير ذلك وذكر في هذه الاية ما يكون في ذلك اليوم من ندم الظالم وسوء حاله

المفردات : الظالم وضع الشيء في غير موضعه كوضع الكفر موضع الايمان ووضع المعصية موضع الطاعة . وحق الله تعالى ان يؤمن به ويوحده ويطاع فمن كفر أو أشرك به أو عصاه فقد ظلم وهو هنا الكافر والمشرک لأنه الذي لم يتخذ مع الرسول سبيلا . الويلة الهلكة كالويل بمعنى الهلاك . فلان يكنى به عن الاعلام كما يكنى بالهن عن الاجناس . الخليل فعيل بمعنى فاعل وهو ما تخلفت مودته القلب وامتزجت بالنفس فكانت له مكاذة منهما وسلطان عليهما . هذا في جانب الخلق واما في جانب الله تعالى فبالمعنى الذي يليق بقدسه وتنزيهه فابراهيم عليه السلام خليل الرحمن بما له عنده تعالى من عظيم المنزلة ورفعة الشأن وقبول الدعوة وما له عليه من جزيل الانعام . الاضلال الصد والصرف عن طريق الحق والنجاة . الذكر القرآن العظيم وفسر بالشهادتين وبالإسلام . والقرآن فيه ذلك كله وهو الذي سيأتي

على الاثر ذكر هجرهم له ولذلك اخترناه في معنى الذكر هنا . الشيطان الخبيث الشرير الذي استولى عليه وتمكن منه خلق الفساد والاضرار من الجن والانس . الخذل الكثير الخذل اي التسليم والترك لمن نزل به السلاء في وقت الحاجة الى انقاذه

الترا كيب : شان من وقع في غيظ وحسرة وندامة أن يعرض يديه وياكل بنانه كانه لم يجد شيئا يطفىء فيه غيظه رجع على نفسه بذلك فعرض اليد لازم لحالة الحسرة والغيظ والندامة فلذا يـكـنى به عنها من اطلاق اللازم وإرادة الملزوم وذلك لا يمنع من وقوع العرض منه حقيقة بل وقوع ذلك هو الشان الغالب . وجملته يقول يا ليتني حالية فهو يعرض حالة كونه قائلا يا ليتني فبينت هذه الجملة ما يقول كما بينت التي قبلها ما يعمل فصورته في حاله الشنيع القطيع ويوم منصوب باذكر او معطوف على يوم يرون الملائكة كما عطف عليه ويوم تشق السماء ويوم يرون منصوب باذكر او بمنعون البشرى كما يدل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين والتنكير في قوله سبيلا للافراد اي سبيلا واحدا لا تعدد فيه بخلاف ما كان عليه الظالم من سبل أهوائه المتعددة المشعبة . والالف في يا ويلتى منقلبة عن ياء المتكلم والاصل يا ويلتى نادى ويايته اي دليته لتحضر في ذلك الوقت لانه وقتها وليس نداؤها رغبة في حضورها فالهلاك لا يرغب فيه وانما نادى الهلاك ليحضر لما حصل له من الياس والقنوط من اسباب النجاة فلم يبق له الا الهلاك كما يقول العليل للطبيب وقد أيس من معالجة جرح بيده مثلا إنقطع فهذا وقت الققطع . وهكذا يخرج كل نداء في حالة شدة لما لا يخلص منها وانما يزيد في اشتدادها كما ينادي الشقي « يا شقوته » والمفتضح « يا فضيحتاه » والمصاب « يا مصيبتاه » وكنتي بفلان لان لكل ظالم خيلا له اسمه الخاص فلا يمكن التصريح باسماء الجميع فما بقى الا الكناية عنها بفلان ، وجملته لقد اضلنتي بيان لسبب تمنيه السابق وال في الشيطان والانسان للجنس فيدخل في جنس الشيطان خليل النظام الذي صده عن الذكر

وقرين خليله من الجن الذي سول له ذلك واعانه وقرينه هو الذي زينه له ودعاه اليه والجملة من كلام الظالم لاعلان خديته واطهار اله منها لما وجد نفسه وحده مخذولا ممن اضله واغواه

المعنى : ويوم يعرض الظالم لنفسه بالكفر بربه او الشرك على يديه ندما وحسرة على تفريطه وعدم اتباعه لسبيل الحق مع الرسول الذي ارسل اليه وعلى توريطه لنفسه بصحبته لخليله وطاعته له حتى صرفه عن الايمان بالقرآن بعد ما جاءه وسمعه وتمكن من الايمان به فاغواه ذلك الخليل وقرينه وقرينه هو حتى اردوه ثم خذلوه في ذلك اليوم العظيم وفي وقت الحسرة والندامة فلم يجد منهم نصرا ولا معونة كما هو شان الشياطين في خذلان من يغووه ويردوه

الحاق واعتبار : كما علينا ان نتبع سبيل الرسول عليه وآله الصلاة والسلام التي جاء بها من عند الله تعالى وهي الاسلام كذلك علينا ان نتبع سبيله في القيام بشرائع الاسلام علما وعملا في ابواب العبادات واحكام المعاملات ، وفي تطبيق اصول الاسلام وفروعه على الحياة الخاصة والعامة وهذه هي سنته التي كان عليها وكان عليها اصحابه واهل القرن الثاني من التابعين واهل القرن الثالث من اتباع التابعين تلك القرون المشهود لها بالخيرية على غيرها بلسان المعصوم وكما ان من عدل عن الاسلام ولم يسلك سبيله وقع في ضلال الكفر كذلك من عدل عن السنة ولم يسلك سبيلها وقع في ضلال الابتداع وكما ان من لم يتخذ مع الرسول سبيل الاسلام يتدم اشد الندم ويتحسر اعظم الحسرة على ما كان من تفريطه كذلك من لم يتخذ مع الرسول سبيل السنة اذ كل منهما قد ظلم نفسه وفرط في سبيل نجاته . فالاية وان كانت في الكافر والمشرک فهي تتناول بطريق الاعتبار اهل الاهواء والبدع وبهذا كانت الاية مة ناوله بوعظها وترهيبها جميع الخلق ممن لم يدخل في الاسلام او دخل فيه ولم يلتزم سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم

تحذير : عند ما تتدخل الحجة شخص من الناس قلبك وتمتزج بروحك

ويستولى بسلطان مودته عليك تصير أقواله وأفعاله كلها عندك مرضية وغيوبه ونقائصه عنك محجوبة . فتمسي طوع بنانه ورهن اشارته يوجهك حيث شاء ويصرفك عما اراد . وهذه حالة من أخطر الاحوال عليك لانك فيها قد سلبت تمييزك وخسرت ارادتك وصرت آلة في يد غيرك فقد ترى الخير وتدعى اليه فيصرفك عنه وقد ترى الشر وتحذر منه ويوقعك فيه وهب هذا الخليل كان مخلصاً لك وحباً عليك فانه غير معصوم من الخطأ والضلال اما اذا كان شريراً مفسداً فهناك الهلاك المحتق والوبال الشديد وقد ذكر لنا الله تعالى في هذه الآية ما كان من سوء مثال الظالم بسبب انقياده لخليله واتباعه له عن غير روية وصدق تمييزه يحذرنا من سلطان الخلة الذي يهمل معه شأن الارادة والتمييز ويعلمنا ان علينا ان نحافظ على إرادتنا وتمييزنا ونظرنا لانفسنا مع الصديق والعدو ومع الخليل وغير الخليل بل نحافظ عليهما مع الخليل أكثر لانه مظنة الخوف بما له من المكانة في القلب والسلطان على النفس

ارشاد : لما كان خليل المرء بهذه المنزلة فعليك ان تختار من تخال فلا تخال الا من حسنت سيرته واستقامت سيرته وغلب الصواب على أقواله وأعماله ليكون دليلك الى الخير وسائقك اليه مع محافظتك على ارادتك وتمييزك معه على كل حال علامة : اذا اردت ان تعرف شر خلانك وأحقهم بهجرك له وابتعادك عنه فانظر فيما يرغبك هو فيه وما يرغبك عنه فاذا وجدته يرغبك عن القرآن وعما جاء به القرآن فياك واياه فقلك اصدق علامة على خبثه وسوء عاقبة قربه فابتعد عنه في الدنيا قبل ان تعض على يديك على صحبتك له في الاخرى . واذا وجدته يرغبك في القرآن وما جاء به القرآن فذلك الخليل الزكي الصادق فاستمسك به وحافظ عليه . وان خلة أسست على الرجوع الى القرآن والتحاب على القرآن والتمتع بالقرآن

لخلة نافعة دنيا واخرى لانها أسست على أساس التقوى . وقد قال الله تعالى «الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين»

شكوى النبي الكريم

من هجر القرآن العظيم

(وقال الرسول يرب ان قومي اتخذوا هذا القرآن

مهجوراً)

المناسبة : لما ذكر تعالى ما قاله المشركون من الباطل في معارضة القرآن والاعراض والصد عنه وما قالوه من عبارات الحسرة والندامة يوم القيامة على ما كان منهم من ذلك في الدنيا — ذكر ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الشكوى لربه بهم من تركهم للقرآن العظيم وهجره

المفردات : مهجورا متروكا مقاطعا مرغوبا عنه الرسول محمد صلى الله عليه

وآله وسلم وقومه قریش

التراكيب : في قوله يرب اظهار لعظيم التجائه وشدة اعتماده وتمام تفويضه لما لكه ومدير أمره وموالي الانعام عليه . وفي التعبير عنهم بقومه وضافتهم اليه وفي التعبير عن القرآن باسم الاشارة القريب — بيان لعظيم جرمهم بتركهم للقرآن وهو قريب منهم في متناولهم وقد أتاهاهم به واحد منهم أقرب الناس اليهم . فصدوا وابتعدوا في الصد عن هو اليهم قريب من قريب . وهذا أقبح الصد وأظلمه . وفي قوله اتخذوا الخ بيان انهم جعلوا الهجر ملازما له ووصفا من اوصافه تنسدهم وذلك أعظم من أن يقال هجروه الذي يفيد وقوع الهجران منهم دون دلالة على الثبوت والملازمة

المعنى : وقال الرسول شاكيسا لربه ان قومي الذين أرسلتني اليهم بالقرآن

لا تلاوه عليهم قد صدوا عنه وتركوه وثبتوا على تركه وهجره

استنتاج واعتبار : في شكوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هجر القرآن دليل على ان ذلك من اصعب الامور وأبغضها لديه وفي حكاية القرآن لهذه الشكوى وعيد كبير للمهاجرين بانزال العقاب بهم اجابة لشكوى نبيه . ولما كان الهجر طبقات اعلاها عدم الايمان به فكل هاجر حظه من هذه الشكوى وهذا الوعيد

تمزيل : ونحن — معشر المسلمين — قد كان منا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل . وان كنا به مومنين . بسط القرآن عقائد الايمان كلها بادلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها وقلنا تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين وأنخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة واشكالاتها المتعددة واصطلاحاتها المحدثه مما يصعب أمره على الطلبة فضلا عن العامة . وبين القرآن اصول الاحكام وأمهاات مسائل الحلال والحرام ووجوه النظر والاعتبار مع بيان حكم الاحكام وفوائدها في الصالح الخاص والعالم فهجرناها واقتصرنا على قراءة الفروع الفقية مجردة بلا نظر جافه بلا حكمة محجبة وراء أسوار من الالفاظ المختصرة تفنى الاعمار قبل الوصول اليها . وبين القرآن مكارم الاخلاق ومنافعها ومساوي الاخلاق ومضارها وبين السبيل للتخلي عن هذه والتجلي بتلك مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس والسلامة من الخيبة بتدسيتهما فهجرنا ذلك كلها ووضعنا اوضاعا من عند انفسنا واصطلاحات من اختراعاتنا خرجنا في اكثرها عن الخيفية السدحة الى الغلو والتنطع وعن السنة البيضاء الى الاحداث والتبدع وادخلنا فيها من النسك الاعجمي والتخيل الفلسفي ما أبعداها غاية البعد عن روح الاسلام والقي بين اهلها بذور الشقاق والخصام وآل الحال بهم الى الخروج من أثقال أغلالها والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها ومعارضة هداية القرآن بها . وعرض القرآن علينا هذا السكون وعجائبه ونهنا على ما فيه من عجائب الحكمة ومصادر النعمة لننظر ونبحث ونستفيد ونعمل فهجرنا ذلك كله الى خريدة العجائب وبدائع الزهور والحوث والصخرة وقرن الثور ! ودعانا القرآن

الى تدبره وتفهمه والتفكر في آياته ولا يتم ذلك الا بتفسيره وتبيينه فاعرضنا عن ذلك وهجرنا تفسيره وتبينه فترى الطالب يفنى حصة كبيرة من عمره في العلوم الالهية دون ان يكون قد طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير كتفسير الجلالين مثلا بل ويصير مدرسا متصدرا ولم يفعل ذلك وفي جامع الزيتونة عمره الله تعالى — اذا حضر الطالب بعد تحصيل التطويس في درس تفسير فإنه ويا للمصيبة يقع في خصومات لفظية بين الشيخ عبد الحكيم واصحابه في القواعد التي كان يحسب انه فرغ منها من قبل فيقضى في خصومة من الخصومات اياما او شهورا فتنتهي السنة وهو لا يزال حيث ابتدأ او ما تجاوزه الا قليلا دون ان يحصل على شيء من حقيقة التفسير وانما قضى سنته في المباحكات بدعوى انها تطبيقات للقواعد على الايات كان التفسير انما يقرأ لاجل تطبيق القواعد الالهية لا لاجل فهم الشرائع والاحكام الالهية . فهذا هجر آخر للقرآن مع ان اصحابه يحسبون انفسهم انهم في خدمة القرآن وعلمنا القرآن ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المبين للناس ما نزل اليهم من ربهم وان عليهم ان ياخذوا ما أتاهاهم وينتهوا عما نهاهم عنه فكانت سنته العملية والقولية تالية للقرآن فهجرنا كما هجرناه وعاملناها بما عاملناه حتى انه ليقل في المتصدرين للتدريس من كبار العلماء في اكبر المعاهد من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كالموطا والبخاري ومسلم ونحوها مطالعة فضلا عن غيرهم من اهل العلم وفضلا عن غيرها من كتب السنة . وكم وكم وبين القرآن وكم وكم وكم قبلناه بالصد والهجران

بيان واستشهاد : شر الهاجرين للقرآن هم الذين يضعون من عند انفسهم ما يعارضونه به ويصرفون وجوه الناس اليهم والى ما وضعوه عنه لانهم جمعوا بين صدهم وهجرهم في انفسهم وصد غيرهم فكان شرهم متعديا وبلاؤهم متجاوزا وشر الشر وأعظم البلاء ما كان كذلك . وفي هؤلاء جاء ما ذكره الامام ابن القيم في كتاب اعلام الموقعين عن حماد بن سلمة ثنا أيوب السختياني عن أبي قلابة عن يزيد

ابن أبي عميرة عن معاذ بن جبل قال : « تكون فتن فيكثر المال ويفتح القرآن حتى يقرأه الرجل والمرأة والصغير والكبير والمنافق والمؤمن فيقرأه الرجل فلا يتبع فيقول والله لا أقرأه علانية فيقرأه علانية فلا يتبع فيتخذ مسجداً ويستدع كلاماً

ليس من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإياكم

وإياه فإنه بدعة وضلالة » قاله معاذ ثلاث مرات ثم فانظر في قطرنا وفي غير قطرنا

كم تجد ممن بنى دَوْعاً للصلاة ووضع كتباً من عنده أو مما وضعه أسلافه من قبله وروجها بين أبعائه فاقبلوا علينا وعجروا القرآن وربما يكون بعضهم قصد بما وضع النفع فاختطأ وجهه إذ لا نفع بما صرف عباد الله عن كتاب الله وإنما يدعى الله بكتب الله والذلك سمي صنيع هذا الواضع بدعة وضلالة وحذر مما ذكر منه وأكد في التحذير بالتكرار ، وهذا الحديث وإن كان موقوفاً على معاذ فهو في حكم المرفوع لأنه اخبار بغيب مستقبل وهذا ما كان يعلمه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إلا بتوقيف من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد تحقق مضمونه في المسلمين منذ أزمان ولا حرج ولا قوة إلا بالله

سبيل النجاة : لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوع الذي نذوقه ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن إلى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه والتفقه فيه وفي السنة النبوية شرحه وبيانه والاستعانة على ذلك باخلاص القصد وصحة الفهم والاعتضاد بانظار العلماء الراسخين والاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين وهذا أمر قريب على من قرب به الله عليه ميسر على من توكل على الله فيه — وقد بدت طلائعه والحمد لله وهي آخذة في الزيادة إن شاء الله وسبحن من يحيي العظام وهي رميم

التسليية والتثبیت

للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

(وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا من المجرمين
وكفى بربك هادياً ونصيراً)

المناسبة : لما شكاه عليه الصلاة والسلام قومه سلاه الله تعالى وعزاه وأمره بالصبر والثبات ووعد ورجاه

المفردات : العدو وزنه فعول يكون للواحد والجماعة

التراكيب : كاف كذلك بمعنى مثل والاشارة للجمال المفهوم مما تقدم أي مثل ذاك الجعل للاعداء لك جعلنا لكل نبيء النخ

المعنى : مثلما جعلنا لك أعداء من قومك كفرؤا بك ودهجروا كتابك وصدؤا عنك وبالغؤا في إذايتك — جعلنا لكل نبيء مما نبأنا اعداء من اهل الذنب والاجرام فما اصابك إلا ما اصابهم فاصبر كما صبرؤا وكفى بربك هادياً يهديك الى طريق الحق ويسبرك الرشد ويعرفك بما تؤدي به رسالة ربك فلا تتحير في امرك لما ترى من صدور قومك، وناصرأ ينصرك على اعدائك . يامرہ بالصبر ويثبتہ بالتاسي يعده بانه يهديه في طريق التبليغ وينصره على معارضيہ حتى يتم امر الله على يده

ترهيب : هؤلاء الذين سماهم الله تعالى اعداء لنبيه ووصفهم بالاجرام هم اوائك الذين هجروا القرآن وصدؤا عنه فهذا تخويف عظيم ووعد شديد اكل من كان هاجراً للقرآن العظيم بوجه من وجوه الهجران

إقنداء وتاس : حق على حرب القرآن الداعين به والداعين إليه ان يقتدؤا بالانبياء والمرسلين في الصبر على الدعوة والمضي فيها والثبات عايها وان يداؤوا انفسهم عند المها واضطرابها بالتاسي باوائك السادة الاخيار

بشارة : قد وعد الله تعالى نبيه بعد ما امره بالتاسي والصبر — بالهداية

والنصر . وفي هذا بشارة للدعاة من امته من بعده السائرين في الدعوة بالقرآن والى القرآن على نهجه انه يهديهم وينصرهم كما قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » معهم بالفضل والنصر والتأييد . وهذا عام للجهاديين المحسنين والحمد لله رب العالمين

تثبيت القلوب بالقرآن العظيم

(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)

المناسبة : هذا اعتراض آخر من اعتراضاتهم الباطلة نسق مع ما تقدم منها ليجاب عنه ويبين خطؤهم فيه كما فعل بما تقدمه

المفردات : (لولا) مع المضارع للتخفيف نحو لولا تستغفرون الله ومع الماضي للوم والتوبيخ نحو لولا جاءوا عليه باربعة شهداء وهي هنا مع الماضي فتكون للوم على عدم حصول المذكور وحصول ضده والمقصود من اللوم هذا الاعتراض على عدم نزوله جملة واحدة ونزوله مفردا فالمعترض عليه هو نزوله مفردا . (نزل) يأتي مرادفا لانزل . والتضعيف اخر الهمزة و يأتي مفيدا للتكثير فيفيد تكرار النزول وتجديده وخرج على هذا قوله تعالى « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب » وأنزل التوراة والانجيل . وأما هنا فلا يصح حمله على التكثير المفيد للتدرج لئلا يناقض قولهم جملة واحدة فيكون من التضعيف المرادف للهمزة . وعندى ان نزل المضاعف يرد لكثرة الفعل ولقوته فجاء بكثرته في آية آل عمران المتقدمة وجاء لقوته في هذه الآية لان انزال الجملة مرة واحدة أقوى من

انزال كل جزء من الاجزاء بمفرده . (كذلك) الاشارة للانزال المفرق المفهوم من قولهم لولا نزل عليه القرآن جملة لانه في معنى له نزل عليه جملة ولم ينزل عليه مفرقاً . (الثبوت) ثبات الشيء اقامته ورسوخه دون اضطراب وذلك من قوته كما ان اضطراب المضطرب من ضعفه فتفسير تثبت الفؤاد هنا بتقويته تفسير يلزم معناه على انه مراد منه ايضا اصل المعنى وهو السكون وعدم الاضطراب . فتشديده — اذاً — هو تسكينه وتقويته (الترتيل) مادة ر ت ل كلها ترجع الى تناسق الشيء وحسن تنصيده منه ثغر ر تل بالتحريك اي مفلج بين الاسنان فرج لا يركب بعضها بعضا وترتيل القرآن في التلاوة هو القاء حروفه حرفاً حرفاً وكلماته كلمة كلمة وآياته آية آية على تؤدة ومهل حتى يتبين للقارئ وللسامع ولا يخفى عليه منه شيء . وأما ترتيله في نزوله وهو المراد هنا فانه انزاله آية وآيتين وآيات مفرقا نجوماً على حسب الوقائع

التراكيب : (وقال الذين كفروا) وصل لانه قيل من اقوالهم فعطف على ما تقدم من مثله (كذلك لثبت) الاصل انزاله كذلك فاجز بحذق المتعلق لوجود ما يدل عليه في اعتراضهم وفصل لانه جواب عن اعتراضهم (ورتلناه) وصل لانه معطوف على انزاله المحذوف والتدوين في (ترتيلاً) تدوين تنويع وتعظيم اي نوعاً من الترتيل عظيماً

المعنى : وقال الذين كفروا — وهم قريش او اليهود ارججميع وهو الظاهر لان قريشا واليهود كان يتصل بينهم الكلام في شان النبي صلى الله عليه واله وسلم وشان القرءان — قالوا معترضين ومقترحين له لم ينزل عليه القرءان جملة واحدة كما انزلت التوراة وغيرها ونزل عليه مفرقا . فقال الله تعالى جواباً لهم انزاله كذلك الانزال مفرقا لثبت به قلبك فيسكن ويطمئن وتقويه فيصبر ويتحمل . وانزاله مرتلاً مفرقا تفريقاً مرتباً منزلاً كل قسم منه في الوقت المناسب لانزاله والحالة

الداعية اليه اللائقة به .

مريد بيان للاعتراض والجواب : اما اعتراضهم فكان لانهم سمعوا القرآن يذكر ان الكتاب انزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما انزلت الكتب على الانبياء عليهم السلام من قبله بمثل قوله تعالى وكذلك انزلنا اليك الكتاب فيقالوا لماذا نزل هذا الكتاب مفردا ولم ينزل مثل تلك الكتب جملة واحدة وهم لما عجزوا عن معارضة اقصر سورة منه اخذوا يباهتون بالباطل ويعترضون بمثل هذا الاعتراض . واما الجواب فكان ببيان حكمتين في انزاله مفردا ، الحكمة الاولى تثبيت قلبه والحكمة الثانية تفريقه مرتبا على الوقائع وكان في تينك الحكمتين مزيتان عظيمتان للقرآن العظيم على غيره من كتب الله تعالى فكان ما اعترضوا به على انه نقص فيه عنها هو كمال له عليها .

شرح الحكمة الاولى : كان كل نجم ينزل من القرآن العظيم — والنجم القسم الذي ينزل معا آية او آيتين او اكثر — يرداد به عجزهم وعنادهم ظهورا وترداد به حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصدقه وضوحا . فيرداد بذلك سكون قلبه وطمانينته بظهور امره على عدوه وعلو كلمة الحق على كلمة الباطل وفي ذلك تقوية له واي تقوية لا عن شك كان في قلبه او تردد ولكن البراهين المتوالية والنجح المتتالية تزيد في سكون القلب واطمئنانه وان كان معقودا من اول امره على اليقين ، فهذا وجه من تثبيت فؤاده بالايات المتفرقات في النزول ، وقد كان كل نجم من نجوم القرآن ينزل بشيء من العلم والعرفان مما يرجع الى العقائد او الاخلاق او الاحكام او التذكير بالامم الماضية واخبار الرسل المتقدمين او باليوم الآخر او بسنة الله في المكذبين الى غير ذلك من علوم القرآن فيتقوى قلبه عند نزول كل نجم بما يكتسبه منه من معرفة وعلم . وكان يلقي من الجهد والعناء في تبليغ الرسالة ما تضعف عن تحمله القوى البشرية فاذا نزل عليه القرآن واتصل

بالملك الروحاني النوراني وقذف في قلبه ذلك الوحي القرآني تقوى قلبه على تحمله اعباء الرسالة ومشاق التبليغ . ولما كان البلاء والعناء في سبيل التبليغ متكررا متجددا كان محتاجا الى تجديد تقوية قلبه وكان ذلك مقتضيا لتفريق نزول الای عليه فهذه ثلاثة وجوه من التثبيت

حظنا من العمل بهذه الحكمة : قلوبنا معرضة لخطرات الوسوس بل للاوهام والشكوك . فالذي يثبتها ويدفع عنها الاضطراب ويربطها باليقين هو القرآن العظيم . ولقد ذهب قوم مع تشكيكات الفلاسفة وفروضهم ومباحكات المتكلمين ومناقضاتهم فما ازدادوا الاشكا وما ازدادت قلوبهم الامراضا حتى رجع كثير منهم في اواخر ايامهم الى عقائد القرآن وأدلة القرآن فشفوا بعد ما كادوا كامام الحرمين والفخر الرازي . وقلوبنا معرضة لران المعصية الذي تظلم منه القلوب وتقسو حتى تحجب عنها الحقائق وتطمس امامها سبل العرفان . فالذي يجلو عنها ذلك الران ويزيل منها تلك القسوة ويكشف لها حقائق العلم ويوضح لها سبل المعرفة هو القرآن العظيم . فقراؤه المتفقهون فيه قلوبهم نيرة مستعدة لتلقي العلوم والمعارف ، مستعدة لسماع الحق وقبوله ، لها من نور القرآن فرقان تفرق به بين الحق والباطل وتميز به بين الهدى والضلال ، وقلوبنا معرضة للضعف عن القيام باعباء التكليف وما نحن مطالبون به من الاعمال والذي يجدد لنا فيها القوة ويبعث فيها الهمة هو القرآن العظيم فحاجتنا الى تجديد تلاوته وتدبره اكيدة جدا لتقوية قلوبنا باليقين ، وبالعلم . وبالهمة والنشاط للقيام بالعمل

شرح الحكمة الثانية من محاسن هذه الشريعة المطهرة انها نزلت بالتدرج المناسب كما كان في تحريم الخمر وكما كان في العدد المفروض عليه الثبات للعدو في آيات الانفال وكما كان في مشروعية قيام الليل في آيات سورة المزمل وما كان ليكون هذا التدرج بغير تفريق الايات في التنزيل . ومن محاسنها نسخ الحكم

عند انتهاء المصلحة التي اقتضت تشريعه وانقضاء زمنها لحكم آخر انسب منه للبقاء في الازمان كما كان في آيتي المتوفى عنها في سورة البقرة وما كان ذلك ليتأتى الا بتفريق الايات في الانزال . وكانت الوقائع تقع والحوادث تحدث والشبه تعرض والاعتراضات ترد فكانت الايات تنزل بما تتطلبه تلك الوقائع من بيان وما تقتضيه تلك الحوادث من احكام وما تستدعيه تلك الشبه من رد وتلك الاعتراضات من ابطال الى غير ما ذكرنا من مقتضيات نزول الايات المعروفة باسباب النزول . وفي بيان الواقعة عند وقوعها وذكر حكم الحادثة عند حدوثها ورد الشبهة عند عرضها وابطال الاعتراض عند وروده — ما فيه من تاثير في النفوس ووقع في القلوب ورسوخ في العقول وجلاء في البيان وبلاغة في التطبيق واستيلاء على السامعين وما كان هذا كله ليتأتى لولا تفريق الايات في التنزيل وترتيلها وتنزيدها هذا الترتيل العجيب وهذا التنضيد الغريب الذي بلغ الغاية من الحسن والمنفعة حتى انه ليصح ان يعد وحده وجها من وجوه الاعجاز

حظنا من العمل بهذه الحكمة : ان نقرأ القرآن ونتفهمه حتى تكون آياته على طرف السنتنا ومعانيه نصب أعيننا لنطبق آياته على احوالنا وننزلها عليها كما كانت تنزل على الاحوال والوقائع فاذا حدث مرض قلبي او اجتماعي طلبنا دواءه في القرآن وطبقناه عليه واذا عرضت شبهة او ورد اعتراض طلبنا فيه الرد والابطال واذا نزلت نازلة طلبنا فيه حكمها وهكذا نذهب في تطبيقه وتنزيله على الشؤون والاحوال الى اقصى حد يمكننا

اقتداء : انظر الى هذه الحكمة في هذا الترتيل كيف كان تنزل آياته على حسب الوقائع أليس في هذا قدوة صالحة لائمة الجمع وخطبائها في توخيهم بخطبهم الوقائع النازلة وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال . بلى والله بلى والله . ولقد كانت الخطب النبوية والخطب السلفية كلها على هذا المنوال تشتمل مع الوعظ والتذكير

على ما يقتضيه الحال وأما هذه الخطب المحفوظة المتلوة على الاحقاب والاجيال فما هي الا مظاهر من مظهر قصورنا وجودنا . فالى الله المشتكى وبه المستعان

الحق والبيان

في آيات القرآن

« ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيراً »

المناسبة : لما رد تعالى اعتراضاتهم وأبطل شبهاتهم أخبر تعالى بأنه لا ينزل القرآن كذلك يدمغ باطلهم بحقه فيزهره . ويصدع غشاء تمويههم بصادق بيانه فيمزره ، لطمأنة قلب نبيه صلى الله عليه وآله وسام وتثبيتته وعدا له بدوام النصر والتأييد

المفردات : (المثل) هو الشبه هذا اصله ثم يطلق على الكلام الذي قيل أول ما قيل في مقام ثم لحسنه وإيجازه حفظ وجرى على الاسنة وصار يقال في كل مقام يشابه مقامه الاصيل الذي قيل فيه اولا لمشابهة المقام الثاني للمقام الاول . ثم صار يطلق ايضا على كل كلام فيه بيان لشيء وتصوير له سواء اطاق ذلك البيان والتصوير الواقع وأتى بالحق أم لم يطابق الواقع ولم يات بالحق وهذا المعنى هو المراد هنا فان المشركون جاءوا بكلمات في حق الله تعالى وفي حق كتابه وفي حق ملائكته وفي حق نبيه لم يطابقوا فيها الواقع ولا أتوا فيها بحق كقولهم في الله وملائكته (لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) وفي نبيه « ما لهذا الرسول يا كل الطعام ويمشي في الأسواق » وفي القرآن « أساطير الاولين اكتبها » « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » فهذه هي أمثالهم التي ضربوها فضلوها . وجاء القرآن بعد كلماتهم الباطلة بكلمات الحق الدامغة مثل قوله تعالى « قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض » « وما أرسلنا قبلك من المرسلين »

إلا أنهم ليا يكون الطعام ويمشون في الأسواق» «كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا» فهذه هي أمثال الله التي جاءت بالحق وأحسن تفسيراً «التفسير» الكشف عن المعنى.

التراكيب : وصلت الجملة لمشاركتها لما قبلها في الخبرية والمخبر عنهم والموضوع المتحدث عنه مما جاءوا به من الباطل وما رد عليهم به من الحق وجملة جئناك حالية من كاف الخطاب المفعول في لا ياتونك والحصر بالنفي والا في تلك الحال والتقدير ولا ياتونك بمثل في حال من أحوالك إلا في حال مجئنا لك بالحق وأحسن تفسيراً والتعبير بالمضارع في ياتونك يفيد الحدوث وتجدد الاثبات منهم والتعبير بالماضي في جئناك مع أنه في معنى المستقبل يفيد تحقق المجيء وهو المناسب لمقام الوعد والتثبيت.

المعنى : ولا ياتيك يا محمد هؤلاء المشركون وامثالهم بكلام يحسنونه ويزخرفونه يصورون به شبهة باطلة أو اعتراضاً فاسداً الا جئناك بالكلام الحق الذي يدمغ باطلهم ويدحض شبهتهم وينقض اعتراضهم ويكون أحسن بياناً وأكمل تفصيلاً.

اهتداء : إذا تتبعنا آيات القرآن وجدتها قد أتت بالعدد الوافر من شبه الضالين واعتراضاتهم ونقضتها بالحق الواضح والبيان الكاشف في أوجز لفظ وأقربه وأبلغه وهذا قسم عظيم جليل من علوم القرآن يتحتم على رجال الدعوة والارشاد أن يكون لهم به فضل عناية ومزيد دراية وخبرة . ولا نحسب شبهة ترد على الاسلام إلا وفي القرآن العظيم ردها بهذا الوعد الصادق من هذه الآية الكريمة فعلياً عند ورود كل شبهة من كل ذي ضلالة ان نفرع الى آي القرآن ولا إخالنا إذا أخلصنا القصد وأحسننا النظر إلا واجديها فيها وكيف لا نجد لها في آيات ربنا التي هي الحق وأحسن تفسيراً .

اقتداء . لنقتد بالقرآن فيما ناتى به من كلام فى مقام الحجاج أو مقام الارشاد
فلنتوخ دائما الحق الثابت بالبرهان أو بالعيان ولنفسره أحسن التفسير ولمشرحه
أكمل الشرح ولنقربه الى الاذهان غاية التقريب وهذا يستدعى صحة الادراك
وجودة الفهم ومتانة العلم لتصور الحق ومعرفة ويستدعى حسن البيان وعالوم
اللسان لتصوير الحق وتجليته والدفاع عنه فللاقتداء بالقرآن فى الاتيان بالحق
وأحسن بيان علينا ان نحصل هذه كلها ونتدرب فيها ونتمرن عليها حتى نبغ الى
ما قدر لنا منها . هذا ما على أهل الدعوة والارشاد وخدمة الاسلام والقرآن فاما
ما على عموم المسلمين من هذا الاقتداء فهو دوام القصد الى الاتيان بالحق وبذل الجهد
فى التعبير بأحسن لفظ وأقربه ومن أخلص قصده فى شيء وجعله من وكده
اعين — باذن الله تعالى — عليه

﴿ حشر الكفار ﴾

الى النار

(الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا
واضل سبيلا)

المناسبة : لما ابطال شبههم بين مآلهم وجزاءهم .

المفردات : (الحشر) السوق والجمع « المكان » المنزل « والسبيل » الطريق
التركيبة : فصلت الجملة لانها بيان لحالهم فى الآخرة وهو غير الموضوع
المتقدم عرف المسند اليه بالإشارة فى قوله اولئك شر مكانا للتنبيه على ان المشار
اليه وهو الذين المتقدم حقيق بما بعد اسم الإشارة من قوله شر مكانا واضل سبيلا
بسبب ما اتصف به المشار اليه المتقدم مما دلت عليه الصلة وهو حشرهم على

وجوههم الى جهنم الذي ما أصابهم الا بما قدمت ايديهم ففي الحقيقة هم احقوا
بكونهم شرا مكانا واضل سبيلا بسبب ما أداهم الى ذلك الحشر فاكتفى بذكر
المسبب عن السبب وافعل التفضيل لم يذكر معه المفضل عليه ليفيد ان مكانهم شر
مكان من أمكنة الشر وسبيلهم اضل سبيل من سبل الضلال . واستناد الضلال
للسبيل مجاز

المعنى : هؤلاء المشركون القائلون للمقاتلات المتقدمة ومن كان على شاكلتهم
في الكفر والعناد الذين يجمعون ويساقون الى جهنم مقلوبين على وجوههم اولئك
شر مكانا ومستقرا فانهم أهل النار وأضل طريقا فانهم سلكوا طريق الكفر الذي
اداهم الى ذلك المستقر .

حديث : اخرج الشيخان عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رجلا
قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال صلى الله عليه وآله وسلم أليس
الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة .

فقه : من هذا الحديث علمنا أنه يجب فيما يرد من الاخبار عن اليوم
الاخر ان يحمل على ظاهره ولو كان غير معتاد في الدنيا لأن أحوال العالم الاخر لا
تقاس على احوال هذا العالم .

توجيه : رفعوا وجوههم في الدنيا عن السجود لله فاخذ الله تلك الوجوه
فمشوا عليها في المحشر . ورفعوا رؤوسهم كبرا عن الحق فنكسها الله يوم القيامة .
ومشوا في طريق النظر والاستدلال مشيا مقلوبا فمشوا في الآخرة مشيا مقلوبا فكان
ما نالهم من سوء تلك الحال جزاء وفاقا لما اتوا من قبيح الاعمال . وما ربك بظلام
للعبيد .

تحذير : فيما يذكره الله تعالى من هذا الجراء العادل تخويف عظيم لنا من
سوء الاعمال التي تؤدي الى سوء الجزاء وخصوصا من مثل ما ذكر فيما تقدم من

ترك السجود والكبر على الحق والنظر المقلوب . عصمنا الله والمسلمين اجمعين
بالعلم والدين وهدانا سنن المرسلين آمين يا رب العالمين .

من اكرام الله تعالى عبده ، تحميله اعباء الرسالة وحده
(ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا)

المناسبة : قد استفيد من الايات المتقدمة ما كان يكابده
النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اذاية قومه وما كان
يلقاه من مكابرتهم للحق وتعنتهم بالباطل ، وما كان
يعانيه من الجهد الجهد في اندارهم وتبليغ دين الله تعالى
اليهم وقد احاط به الاعداء من كل جانب ولقيته العقبات
من كل ناحية وهو في ذلك كله جاهد في القيام بتبليغ
الامانة ناهض باعباء الرسالة ماض في تلك السبيل ليس
معه من نذير وقد كان ذلك مما تتفسخ له القوى البشرية
لولا تايد من الله فاراد تعالى في هذه الاية ان يشبهه في
مقامه ويؤنسه في انفراده فيبين له ان تخصيصه بالقيام
هذا المقام العظيم هو لاجل تعظيمه وتكريمه وتخصيصه
بالاجر الكثير والثواب الندي ليس له من مثيل

المفردات : البعث الارسال . القرية منازل الناس حيث

يقيمون ويكُونون مجتمعاً كبيراً او صغيراً. النذير
المخوف من الوقوع في الشر والهلاك

التراكيب : مفعول المشيئة محذوف قياساً وتقدير
الكلام ولو شئنا ان نبعث ، والبعث في كل قرية منتف
بحكم لو لانها هنا تدل على امتناع جوابها لامتناع شرطها
المعنى : لو اردنا لارسلنا في كل بلدة ومصر رسولا
ينذرههم ويخوفهم من حلول نقمتنا بهم بكفرهم بنا
ومعصيتهم لنا فيخف عنك عبء ما حملت ويسقط عنك بذلك
تعب كثير، ولكننا لم نرد ذلك وحملناك انت وحدك أعباء
وأثقال النذارة لجميع القرى ليظهر فضلك بعموم رسالتك
ويعظم اجرك بعظم جهادك وصبرك ويكثر ثوابك
بكثرة من يؤمن بك ومن تود وتعمل ليؤمن بك

حديث : صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه
قال: « اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي
يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احر واسود. واحلت
لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي . وجعلت لي الارض طيبة
طهورا ومسجدا فاما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان
ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، واعطيت

الشفاعة . » وذكر اللوين الاحمر والاسود لقصد التعميم .
 هكذا جاء هذا الحديث عن جابر بن عبد الله في صحيح
 مسلم وجاء فيه من طريق ابي هريرة زيادة « وختم بي
 النبيون » فتعميم رسالته وختم النبوة به في هذا الحديث
 الصحيح من طريقه من مقتضى معنى الآية فانه لما عممت
 رسالته ولم يكن معه رسول في حياته وختمت به النبوة فلا
 يكون كذلك بعد وفاته ثبتت له كرامة الخصوصية وعظمة
 المنزلة وجزالة المثوبة وهو ما كنا بيناه في معنى الآية .

وما أحسن التفسير تعضده الاحاديث الصحاح
 تأسي ورجاء: قد ثبت في السنة ما يكون من كثرة
 الجهل وموت السنة وانتشار البدعة وقد ايد ذلك الواقع
 والمشاهدة . فاذا كان دعاة العلم والسنة وخصوم الجهل
 والبدعة فلا بد ان يكونوا قليلا في العدد الكثير خصوصا
 في مبدا أمرهم واول دعوتهم ولا بد ان يلقوا ما يلقون
 ويقاسوا ما يقاسون . ومما يثبت قلوبهم في عظيم موافقهم
 تأسيهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء وحده
 بالحق والناس كلهم على الباطل فما زال يجاهد حتى لقي
 ربه ، ومما يثبت قلوبهم ايضا رجاءهم — اذا اخلصوا

النية واحسنوا الاقتداء — فيما يكون لهم من الاجر العظيم
 والثواب الجزيل في جهادهم على قلتهم وفيما يكون لهم من
 الثواب كذلك فيمن اهتدى بهم وفيمن بذلوا جهدهم في
 هدايته وكانت لهم الرغبة العظيمة في ائصال الخير اليه .
 وان لم يرجع اليهم .

عدم طاعة الكافرين . والجهاد بالقرآن العظيم ﴿﴾
 (فلا تطع الكافرين وجاهدكم به جهادا كبيرا)

المناسبة : لما بين له ما خصصه به من الكرامة دعاه الى
 مقابلة ذلك بعدم طاعة اهل الكفر والثبات على جهادهم
 بالقرآن .

المفردات : الفاء تفريعية . الطاعة الامتثال للطلب .
 والجهاد بذل الجهد من ناحيتك في مقابلة من هو باذل
 جهده في الناحية المقابلة لك هذا مقتضى صيغة فعال
 التراكيب : جهادا كبيرا مصدر مبين للنوع المطلوب
 بصفته وهي كبيرا .

المعنى : لما اكرمناك بعموم رسالتك وختم النبوة بك
 فقابل هذه النعمة باخلاص الطاعة لربك ولا تطع الكافرين

أعداء الله وأعداءك في شيء يدعونك اليه من مقتضيات كفرهم كالرجوع اليهم والسكوت عن بعض كفرهم وابذل كل جهدك في دعوتهم للدين الحق ومقاومة ما هم عليه من الباطل بالقرآن العظيم وجاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا بتحمل كل ما ياتيكم من ناحيتهم من بلاء وإذابة والصبر عليه والثبات على الدعوة والمقاومة تعميم: كما لا تجوز طاعة الكافرين في شيء مما يمليه عليهم كفرهم كذلك

لا تجوز طاعة العصاة في شيء مما تمليه عليهم معصيتهم لان الجميع فيه مخالفة لدين الله وكما يجاهد أهل الكفر بالقرآن العظيم الجهاد الكبير كذلك يجاهد به أهل المعصية لانه كتاب الهداية لكل ضال والدعوة لكل مرشد، وفي ذكر الكافرين تنبيه على العصاة من التنبيه بالاعلى على الادنى لاشتراكهم في العناء وهي المخالفة .

اقتداء: ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليطيع الكافرين وإنما جاء هذا النهي تيسيرا له على تمام مخالفتهم ومعاكستهم في جميع مناحي ومظاهر كفرهم والخطاب وإن كان له فالحكم شامل لأُمَّته فلا يجوز للمسلم أن يطيع كافرا أو عاصيا في أي شيء من نواحي الكفر ونواحي المعصية . وكما أن الجهاد بالقرآن العظيم هو فرض عليه ، فكذلك هو فرض على أُمَّته هكذا على الاجمال وعند التفصيل تجده فرضا على الدعاة والمرشدين الذي يقومون بهذا الفرض الكفائي على المسلمين فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قدوة لأُمَّته فيما اشتملت عليه الاية من نهى وأمر استدلال: هذه الاية نص صريح في أن الجهاد في الدعوة الى الله وإحقاق

الحق من الدين وإبطال الباطل من شبه المشبهين وضلالات الضالين وإنكار الجاحدين هو بالقرآن العظيم ففيه بيان العقائد وأدلتها ، ورد الشبه عنها . وفيه بيان الاخلاق محاسنها ومساوئها وطرق الوصول الى التحلي بالاولى والتخلي عن الثانية ومعالجتها . وفيه أصول الاحكام وعللها وهكذا فيه كل ما يحتاج إليه المجاهد به في دين الله فيستفاد منها كما يستفاد من آيات اخرى غيرها ، ان على الدعاة والمرشدين

أن تكون دعوتهم وإرشادهم بالقرآن العظيم
 ميزان : عند ما يختلف عليك الدعاة الذين يدعي كل منهم أنه يدعوك الى
 الله تعالى فانظر من يدعوك بالقرآن الى القرآن — ومثله ما صح من السنة لانها تفسيره
 وبيانه — فاتبعه لانه هو المتبع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته وجهاده
 بالقرآن والممثل لما دلت عليه امثال هذه الاية الكريمة من آيات القرآن
 نعمة ومنقبة : قد سمى الله تعالى الجهاد بالقرآن جهادا كبيرا وفي هذا منقبة
 كبرى للقائمين بالدعوة الى الله بالقرآن العظيم وفي ذلك نعمة عظيمة من الله عليهم
 حيث يسرهم لهذا الجهاد حتى ليصح أن يساموا بهذا الاسم الشريف (مجاهدون)
 فحق عليهم أن يقدروا هذه النعمة ويؤدوا شكرها بالقول والعمل . والاخلاص
 والثبات والصبر واليقين

جعلنا الله والمسلمين منهم وحشرنا في زميرتهم اجمعين

تعاقب الليل والنهار

للتفكير والعمل

(وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد ان يذكر
 او اراد شكوراً)

﴿ ١ 〉

المناسبة : لما سأل المشركون بقولهم (وما الرحمن) كما يسألون عن المجهول
 ذكر لهم القرآن ما يعرفهم به من عظيم آياته وجلائل انعاماته التي هي من آثار
 رحمته فذكر لهم بروج السماء والشمس والقمر ثم ذكر لهم تعاقب الليل والنهار
 المفردات : « خلقة » يقولون خلقت الفاكهة بعضها بعضا خلفا
 — بالتحريك — وخلقة إذا صارت خلفا من الاولى . وخلف زيد عمرا يخلفه

إذا جاء بعده في مكانه فالخلفة مصدر وهو لما كان على وزن فعلة دال على الهيئة كالركبة بمعنى الهيئة من الركوب فالخلفة إذن هيئة من الخلوف . فإذا قلت خلفه خلفا أو خلوفاً فقد أردت مطلق الحدث وإذا قلت خلفه خلفه فقد أردت هيئة خاصة من الخلوف « التذكر » قبول التذكير فإن مخلوقات الله مذكرات للعباد بربه فتذكركه هو قبوله ذلك التذكير واعتباره وتعاضله به « الشكور » مصدر شكر بمعنى القيام بعبادته وطاعته لأجل نعمه « أو » للتفصيل والتنويع لأن المستفيدين من اختلاف الليل والنهار هم المتذكرون والشاكرون فلا تمنع من أن يكون الشخص الواحد متذكرا شاكرا في آن واحد

التراكيب : خليفة مفعول ثان لجعل على معنى جعلهما ذوي خليفة وفي الاخبار تقول الليل والنهار خليفة والرجلان خليفة على هذا المعنى أي يخلف أحدهما الآخر وكان مفردا عن الاثنين لأنه مصدر والجار في « لمن أراد » يتعلق بجعل وكان الجعل لهما لأنهما المستفيدان منه . ولم يكرر الاسم الموصول لأن الشخص الواحد يمكن أن يتصف بالصلتين معا وكرر فعل الإرادة لأنها لا بد منها في التذكر وفي الشكر وقيل « أن يتذكر » ليفيد المضارع الحدوث والتجدد فإن الغفلة مستولية على الإنسان والآيات المرئية ما تزال تحدث له التذكر وتجده له . وقيل « شكورا » لمناسبة رؤوس الأي

المعنى : يقول تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار ووضعهما يختلفان ويتعاقبان على حياة مخصوصة في التخالف والتعاقب ليستفيد من ذلك من العباد من أراد أن يتذكر فيعتبر بما فيها من انتقال وتغير ونظام وتقدير ويستدل بذلك على وجود خالقهما وقدرته وإرادته وعلمه وحكمته ورحمته بمخلوقاته أو أراد أن يشكر فيقوم بعبادة خالقه المنعم عليه بجلال النعم ودقائقها التي منها هذا الاختلاف والتعاقب بين هذين الوقتين الذي لا يصلح حال الإنسان ولا تستظم أعماله ولا

يستقيم عمرانه إلا به
 فقه لغوي : اختيرت لفظة الخلفة هنا لدلالاتها على الهياة فتكون منبهة على
 هياة هذا الاختلاف بالطول والقصر المختلفين في الجهات من الارض وذلك منبه
 على اسباب هذا الاختلاف من وضع جرم الارض وجرم الشمس وذلك كله من
 آيات الله الدالة عليه وبذلك الهياة من الاختلاف المقدر المنظم عظم النعمة على
 البشر وشملتهم الرحمة فكانت هذه اللفظة الواحدة منبهة على ما في اختلاف الليل
 والنهار من آية دالة ومن نعمة عامة . وهكذا جميع الفاظ القرآن في
 انتقائها لمواضعها

فقه شرعي : لما كان جعل الليل والنهار خلفه لاجل التذكر والعمل كان كل
 واحد منهما صالحا للعمل الذي يعمل في صاحبه فمن فاته عمل بالليل اتى به في
 النهار ومن فاته عمل بالنهار اتى به في الليل وهذا إذا كان من العادات فهو على
 سبيل التدارك وإذا كان من العبادات فهو على سبيل القضاء . وقد روى ابن جرير
 بسند حسن ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال فاتتني الصلاة
 الليلة فقال ادرك ما فاتك من ليلتها في نهارك فان الله جعل الليل والنهار خلفه لمن
 أراد ان يذكر أو أراد شكورا . ومن هذا ما رواه مسلم والاربعة عن عمر بن
 الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نام عن حزبه او عن
 شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل .

فقه قرآني : حياة الانسان من بدايتها إلى نهايتها مبنية على هذه الاركان
 الثلاث : الارادة والفكر والعمل وهي المذكورات في هذه الاية ، لأن التذكر
 بالتفكير والشكر بالعمل . فاستفادة الانسان مما خلقه الله له وجعله لاجله لا تكون
 إلا بهذه الثلاثة وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة اخرى لا بد للانسان منها فالعمل
 متوقف على البدن والفكر متوقف على العقل والارادة متوقفة على الخلق فالتفكير

الصحيح من العقل الصحيح والارادة القوية من الخلق المتين والعمل المفيد من البدن السليم فلهذا كان الانسان مأمورا بالمحافظة على هذه الثلاثة عقله وخلقه وبدنسه ودفع المضار عنها فيثقف عقله بالعلم ويقوم اخلاقه بالسلوك النبوي ويقوي بدنسه بتنظيم الغذاء وتوقي الاذى والترريض على العمل .

موعظة : قال الامام ابن العربي سمعت ذا نشمند الاكبر — يعني الغزالي — يقول ان الله خلق العبد حيا عالما وبذلك كماله . وسلط عليه آفة النوم وضرورة الحدث ونقصان الخلقة ، إذا الكمال للاول الخالق ، فما امكن الرجل من دفع النوم بقلة الاكل والسهر في الطاعة فليفعل . ومن الغبن العظيم ان يعيش الرجل ستين سنة يتام ليلا فيذهب النصف من عمره لغوا وينام نحو سدس النهار راحة فيذهب له ثلثاه ويبقى له من العمر عشرون سنة . ومن الجهالة والسفاهة ان يتلف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية ولا يتلف عمره سهرة في لذة باقية عند الغني الوفي الذي ليس بعديم ولا ظلوم . اهـ

سلوك : حافظ على العبادات في اوقاتها واقض ما فاتك واربط اعمالك باوقاتها وتدارك ما فاتك ووجه قصدك الى ما ترى من آيات الله متفكرا ووجه قصدك في جميع اعمالك لله سامعا مطيعا — تكن عبدا ذاكرا شاكرا سعيدا — ان شاء الله — في الدارين . وفقنا الله الى ذلك والمسلمين اجمعين

﴿القرآن يصف عباد الرحمن﴾

الصفة الاولى والثانية

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)

المناسبة : لما تجاهل المشركون الرحمن واستكبروا عن السجود له عرفهم
القرآن بالرحمن بخلقه وتديره وانعامه كما مضى فى الايات المتقدمة ، ثم عرفهم بعباده
الذين عرفوه بذلك فآمنوا به وخضعوا له بما اشتملت عليه هذه الايات من
صفاتهم . وكما كانت مخلوقات الله المذكورة سابقا دالة عليه ومعرفة به بما فيها
من آثار قدرته وآثار رحمته كذلك كان عباده المذكورون أدلة عليه ومعرفين
به بأقوالهم وافعالهم وهدىهم وسلوكهم ومظاهر آثار رحمة الله عليهم فذكروا بعد
ذكر تلك المخلوقات وذكرت هي قبلهم لانها كانت ادلة لهم والدليل سابق
على المستدل سبق الاستفادة منه على الاستفادة . وفي تعريف القرآن لعباد الرحمن بعد
تعريفه بالرحمن تشريف كبير لهم وتبكييت لاولئك المتجاهلين المتكبرين ، ووجه
آخر فى المناسبة ، وهو انه لما ذكر التذكر والشكر فى الليل والنهار فى الاية المتقدمة
ذكر صفات المتذكرين الشاكرين وما اثمره لهم تذكرهم وشكرهم ترغيبا فى
التذكر والشكر

وقولهم للجاهلين سلاما من مقتضى هونهم ورفعهم فلذلك قرن به وعطف

عليه

المفردات : عباد جمع عبد بمعنى المملوك الذليل الخاضع او جمع عابد كصاحب
وصحاب وتاجر وتجار بمعنى المطيع والقائم بما يرضى ربه والاول هنا اظهر ،
الرحمن المنعم الذي تتجدد نعمه فى كل آن . يمشون على الارض يتنقلون عليها .

هونا هان الامر يهون هونا بمعنى سهل ومنه « هو علي هين » اي سهل وشيء هين على وزن فيعل اي سهل ويقال هين بالتخفيف . ومن صفات المؤمن انه هين لين من الهون بمعنى السهولة في اخلاقه ومعاملته وفي مسند احمد عن ابن مسعود مرفوعا : « حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس » وهو على ما فسرنا من السهولة في اخلاقه ومعاملته . وذلك هو الذي يقربه من الناس وفسر الهون في الاية بالحلم والوقار والسكينة والتواضع والطاعة وكلها ترجع الى السهولة وللين وفسر بعدم الفساد في الارض وعدم التجبر والتكبر لانها كلها اضداد للسهولة وللين خاطبهم كالمهم الجاهلون . السفهاء القليلو الادب السيئو الاخلاق . والجهل ضد العلم ويطلق بمعنى السفه والطيش لانهما عنه ينشآن ومنه قول الشاعر :

الا لا يجهلن احد علينا * فتهجل فوق جهل الجاهلينا

ومنه الجاهلون في الاية . سلاما . السلام كالسلامة معناهما التعري ومن الافات والمكروهات .

التراكيب : وصلت الجملة بما قبلها بالواو لاشتراكهما في القصد وهو التعريف بالرحمن وبعباده . وعباد مبتدا والذين خبر واضاف العباد للرحمن تخصيصا لهم وتفضيلا وتقريبا وفيه تعريض باولئك المتجاهلين المتكبرين المبعدين وهونا منصوبا على أنه مفعول مطلق والتقدير مشيا هونا او على انه حال من فاعل يمشون اي هينين ومحيي المصدر حالا كثير ولصدريته افرد والموصوف جمع ، نظير الزيدون عدل . ويمشون على الارض هونا تركيب كمنائي أريد به معناه ولازم معناه فهم يمشون هينين برفق وتثبت لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا . هذا أصل المعنى وهو مراد ، ومراد أيضا لازمه وهو سهولتهم وتواضعهم وعدم تكبرهم ورفقهم في الامور وبعدهم عن الافساد . ومراد لازم اخر أيضا وهو سترهم في الحياة وتصرفهم في جميع الامور ومعاملتهم للناس فاذا كانوا اهل رفق

وسهولة في مشيهم في الارض فكذلك هم اهل رفق وسهولة في الامور الاخرى مما ذكرنا لأن الرفق والسهولة خلق فيهم فكما هو في المشي هو في غيره . وكانت الصلة بالمضارع ليفيد التجدد فان المشي في الارض ضروري للانسان وكان المعطوف على الصلة بصورة الشرط لأن خطاب الجاهلين لهم ليس مما يكون دائما وكان التعليق باذا لان مخاطبة الجاهلين لهم بالسوء أمر محقق ومتى سلم أهل العلم والدين من الجاهلين ولم يذكر ما يخاطبهم به الجاهلون للعلم بان خطاب الجاهل أي السفه لا يكون إلا سوءا مما يمليه عليه جهله وسفهه . ونصب سلاما على أنه مفعول مطلق والتقدير قالوا قولا سلاما أي ذا سلام فيشمل كل قول فيه سلامة من الاذى والمكروه كسلام عليكم ويغفر الله لكم وساحكم الله ونحو ذلك . أو نصب على أنه مفعول به أي قالوا هذا اللفظ سلاما نفسه .

المعنى: يقول تعالى وعباد الرحمن ومماليكه القائمون بحق العبودية له هم أهل الرفق والسهولة الذين يمشون على الارض هينين في مشيهم وفي معاملتهم لشؤون الحياة ومعاملتهم للناس لحلمهم وتواضعهم غير مستكبرين ولا متجبرين ولا ساعين في الارض بالفساد . وإذا خاطبهم السفهاء بما لا ينبغي من الخطاب قابلوهم بالحلم وقالوا لهم سلاما لأنهم سلموا من الجهل فسلم المخاطب لهم من ان يجهلوا عليه ولو جهل أو قالوا لهم من الكلام ما فيه سلامة من الاذى والمكروه

الاحكام: في الآية استحباب الرفق في المشي وكراهية العنف والاضطراب ومن العنف الضرب بالرجل والخفق بالنعل فاذا كانا بعجب وخيلاء فهو حرام . وفيها الاغضاء عن الجاهل ومقابلة كلمته السيئة بالكلام الحسن . وكراهة مجاراته في خطابه ومماثلته وإذا كان في ذلك فتنة أو مفسدة محققة كان حراما .

تمييز: ليس من الهون في المشي التشاقل والتماوت فيه وروي أن عمر بن الخطاب (ض) قال لجماعة رآهم كذلك : « لا تमितوا علينا ديتنا أماتكم الله » وان

عائشة «ض» رأت قوما يتماوتون فسالت عنهم فقبل لها هؤلاء قوم من القراء فقالت لقد كان عمر من القراء وكان إذا مشى أسرع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا ضرب أوجع وكان مشيه «ض» إلى السرعة خلقته لا تكلفا والخير في الوسط ، وليس هون المشي وحده يعرفك بان صاحبه من عباد الرحمن فرب ماش هونا وريدا وهو ذئب أطلس ولكن بالهون في المشي وبما ذكرنا في فصل التراكيب والمعنى من لوازمه

بيان ورد : اشتملت الآية على بيان الادب في معاملة الجاهلين من افراد الناس سواء أكانوا مسلمين أم غيرهم وما اشتملت عليه من الادب قد جاء في آيات كثيرة مثل « وأعرض عن الجاهلين » و « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » فهو أدب مشروع مؤكد وحكم دائم محكم وهو في معاملات الافراد كما ترى . فلا ينافي ما شرع من الحرب عند وجود أسبابها وتوفر شروطها بين الامم والجماعات وهي من الامور العامة كما ترى فبطل قول من زعم أن هذه الآية بالنسبة لغير المسلم منسوخة بآية السيف لأن هذه الآية ثابت حكمها في حال وآية السيف ثابت حكمها في حال اخرى فلا تنسخ إحداهما الاخرى . وما أكثر ما قتلت أحكام بآية السيف هذه وهي عند التحقيق غير معارضة لها لمباينة حالها لحالها .

تمثيل واستدلال : جاء في الصحيح من طرق مجموع الفاظها ان رهطا من اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا السام عليكم « والسام الموت » ففهمتها عائشة رضي الله عنها فقالت وعليكم السام واللغة وغضب الله عليكم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش إن الله يحب الرفق في الامور كلها فقالت له عائشة أو لم تسمع ما قالوا فقال لها أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم . قد قلت « وعليكم » فيستجاب لي فيهم « لأنه دعاء بحق » ولا يستجاب لهم في « لأنه دعاء بباطل وظلم » فقد خاطبته

هؤلاء الجاهلون بالسوء فقال لهم كلمة سالمة من القبح ليس فيها لفظ الاذية وهو السلام بعيدة عن الايحاش خالصة للرفق فهي من القول السلام أي ذي السلام من مقتضى الآية على الوجه الاولى من وجهيها ففي الحديث مثال لقول السلام في خطاب الجاهل ودليل على عموم الحكم وإحكامه .

سؤال وجوابه : على الوجه الثاني في الآية وهو أنه يقول للجاهل سلاما يقال هل يسلم عليه إذا كان كافرا فيقال نعم كما قال ابراهيم لأبيه « سلام عليك » وقد قال الله تعالى « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم » ولم يستثن إلا قوله لأبيه « لا تستغفرن لك » نعم هو سلام موادة ومتاركة لا سلام تحية وكرامة . لطيفة تاريخية : قالوا ان إبراهيم بن المهدي العباسي كان منحرفا عن علي بن أبي طالب (ض) فرآه في النوم قد تقدمه لعبور قنطرة فقال له إبراهيم إنما تدعي هذا الامر يعني الخلافة بامرأة يعني فاطمة رضي الله عنها ونحن أحق به منك وحكى ابراهيم رؤياه للمامون وقال له فما رأيت له بلاغة في الجواب كما يذكر عنه فقال له المامون فما أجابك به قال كان يقول لي « سلاما سلاما » فنبهه المامون على هذه الآية وقال يا عم قد أجابك بابلغ جواب فخزي ابراهيم واستحيى اه فرضي الله عن الامام الهاشمي ما أبلغه حيا وميتا .

توجيه وسلوك : القول السلام محمود ومطلوب في كل حال وإنما خصت حالة خطاب الجاهل لأنها الحالة التي تشور فيها ثائرة الغضب بما يكون من سفيه ومهاترته فعلى المومن أن يكون حاضر البال بهذه الآية عندما تسوق اليه الاقدار جاهلا فيخطبه بما لا يرضيه حتى يسلم من شره ويكسر من شرته فيسلم له عرضه ومروءته ودينه ويسلم ذلك الجاهل ايضا من اللجاج في الشر والتماذي فيه فيكون المومن بقوله السلام وتادبه بادب القرآن قد حصل السلامة للجميع واعظم به من فضل واجر في الدنيا والدين وفقنا الله لذلك والمسلمين اجمعين .

﴿ القرآن ﴾ يصف عباد الرحمن ﴿﴾

الصفة الثالثة

(والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما)

المناسبة : لما ذكر فيما تقدم سلوكهم مع الخلق ، ذكر في هذه الآية سلوكهم في القيام بعبادة الحق . وفيما تقدم بيان حالهم عند اختلاطهم بالعباد ، وفي هذه بيان حالهم عند تفردهم لرب العباد .

الفردات : يبيتون من البيتوتة وهي ان يدركك الليل نمت او لم تنم ويقابلها الظلول وهو ان يدركك النهار . السجد جمع ساجد والقيام جمع قائم وهو من الاوزان التي يشترك فيها المصدر والجمع .

التراكيب : الذين عطف على الخبر الاول واعيد لفظ الذين لاستقلال الحاء الثانية عن الاولى وقدم الجار ليفيد تخصيص عبادتهم بربهم ويفيد الكلام عبادتهم وإخلاصهم وقدم سجدا لأن السجود اقرب احوال العبد للرب لحديث اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ووقع قياما في موقعه مناسبا للفاصلة .

المعنى : ومن صفات عباد الرحمن انهم يحيون الليل فيبيتون يصلون لربهم يراوون بين السجود والقيام

بيان وترغيب : هذه الآية من آيات الحث على قيام الليل مثل قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا » وقد بينت السنة المطهرة مقداره فثبت في الموطأ من طريق ابي سلمة عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن خمسين وطولهن ثم يصلي ثلاثا والسلام بعد كل

ركعتين لحديث صلى الليل مشنئ وثبت عند مسلم من طريق سعد بن هشام عنها انه كان يفتتح صلاته بالليل بركعتين خفيفتين فتلك ثلاث عشرة وقد ثبت ذلك في الموطأ من طريق عروة عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة ، وهذا هو الغالب من احواله وقد كان يصلي اقل منه في بعض الاحوال فقد ثبت عند البخاري من طريق مسروق عنها ان صلاته صلى الله عليه وآله وسلم بالليل سبع وتسع واخذى عشرة سوى ركعتي الفجر ومثل ما جاء عن عائشة من انتهاء ركعاته الى ثلاث عشرة جاء في الموطأ من حديث ابن عباس وجاء فيه ايضا من حديث زيد بن خالد الجهني ، وفي هذه السنة العملية الثابتة بيان للقدر الاكمل الذي يكون به العبد ممن يصدق عليهم هذا الوصف من صفات عباد الرحمن

الصفة الرابعة

(والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما)

المناسبة : لما ذكر حسن سلوكهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق ذكر خوفهم من ربهم واعتمادهم عليه في نجاتهم وعدم اغترارهم باعمالهم فهم ياتون ما ياتون من محاسن الاعمال ولا يعتمدون الا على الكبير المتعال

المفردات : الغرام مادة غ ر م تدور على معنى الملازمة مع الشغل والشدة ولذا فسر الغرام بالشر وبالعذاب وبالهلاك الملازم . ساءت بمعنى قبحت مثل بسس لا نشاء الذم ، المستقر محل الاستقرار الى الثبوت ، والمقام محل الإقامة اي البقاء .

التراكيب : ساءت فاعله الضمير المخصوص بالذم ومستقرا ومقاما تمييز مفسر للضمير وجملة ان عذابها تعليل للجملة الدعائية وفصلت عنها لكمال الانقطاع بينهما لانشاءية الاولى وخبرية الثانية وجملة انها ساءت مؤكدة لمضمون الجملة قبلها

مع اختلاف فى المعنى فان ما افادته الاولى من فداحة عذابها وملازمتها اكثرت
 الثانية بما افاده من مقامه ومستقرها ففصلت عنها لما بينهما من كمال الاتصال نظير ،
 ذلك الكتاب لا ريب فيه ، والتاكيد فيهما بان ، لانه قد لوح واشير فى الكلام
 السابق الى هذا الخبر وشأن السامع لهذا ان يستشرف له استشراف المتردد الطالب
 فينزل منزلة المتردد فيؤكد له الخبر ووجه التلويح بهذا الخبر انه لما سئل صرف
 عذاب جهنم كان هذا مشيرا الى قبح هذا العذاب وشدة هذا نظير ، ولا تخاطبني
 في الذين ظلموا انهم مغرورون

المعنى : ومن صفاتهم انهم يدعون الله تعالى ان يصرف عنهم عذاب جهنم لان
 عذابها عذاب شديد فادح ملح ملازم ولائها بثست المستقر الذي يستقر ويثبت فيه
 وبثست المقام الذي يقام ويبكث فيه .

رد واستدلال : زعم قوم ان اكمل احوال العابد ان يعبد الله تعالى لا
 طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره وهذه الاية وغيرها رد قاطع عليهم ومثلها قول
 ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام « والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين »
 فى نصوص لا تحصى كثيرة وزعموا ان كمال التعظيم لله يتافيه ان تكون العبادة
 معها خوف من عقابه او طمع فى ثوابه واخطأوا فيما زعموا فان العبادة مبناهما الخضوع
 والذل والافتقار والشعور بالحاجة والاضطرار واظهار العبد هذه العبودية باتهما
 ومن اتم مظهر لها ان يخاف ويطمع كما يذل ويخضع ففى اظهار كمال نقص العبودية
 القيام بحق التعظيم والاجلال للربوبية ولهذا كان الانبياء عليهم وآلهم الصلاة
 والسلام وهم اشد الخلق تعظيما لله ومن اكثرهم خوفا من الله وتعوذا من عذاب
 الله وسؤالا لما عند الله وكفى بهم حجة وقدوة وان هذه المقالة تكاد تقضي الى
 طرح الرجاء والخوف وعليهما مبنى الاعمال لما فيهما من ظهور العبودية بالذل
 والاحتياج ، ومن دعاء القنوت الثابت المحفوظ « واليك نسعى ونحشد نرجو رحمتك

ونخاف عذابك الجدد وهذا ضروري في الدين . ولكن مثل هذه المقالة إنما يجر اليه الغلو وقلة الفقه في الدين في الكتاب والسنة . وما كان عليه هدي السابقين الاولين اعتبار ونصيحة : إن جهنم هي أقبح مستقر وأقبح مقام . وان الدنيا هي مطية الآخرة فمن ساء مستقره ومقامه في الدنيا ساء كذلك مستقره ومقامه في الآخرة وان ملازمة العذاب في الآخرة على قدر ملازمة المعاصي في الدنيا فمن لازمها بالكفر ومات عليه دامت له تلك الملازمة ومن لازمها بالاصرار على الكبائر كانت له على حسب ذلك الملازمة . فعلى العاقل أن يحسن مقره ومقامه وان يجتنب كل موطن تلحقه فيه الملامة وان يجتنب مجالس السوء والبذاء ويلتزم مجالس الطاعة والسنة وان يسرع بالتوبة مفارقا الذنوب وان لا يصر على شيء من القبائح والعيوب وان يكون سريع الرجوع الى الله ولو عظم ذنبه وبلواه فالله يحب التوابين ويغفر للاوابين جعلنا منهم اجمعين آمين

﴿ القرآن يصف عباد الرحمن ﴾

الصفة الخامسة

(والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)

المناسبة : مضى وصفهم بانهم يبسيتون لربهم سجدا وقياما ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتربي النفس على استصغار الدنيا وما فيها وعلى تعظيم الرب والوقوف عند حدوده فلا يعظم شيء من الدنيا عند اهل الصلاة

فيمسكوا عن بذله في الحق ولا يستهويهم شيء منها فينتهكوا
 لأجله حدود الله وحرماته ، ولما كان المال هو أعز شيء
 من هذه الدنيا وهو أعظم سبب لنيل مبتغياتها وصفوا بانهم
 في تصرفهم فيه على اكمل حال وهي حالة العدل التي
 اثمرتها لهم الصلاة فلا يمسكونه عن حق ولا يبذلونه
 في باطل .

المفردات : انفقوا بذلوا المال في وجه من الوجوه .
 الاسراف مجاوزة الحد المشروع ، الاقتار والتقتير التضييق
 القوام العدل بين الشئئين اي المعتدل ما بينهما وسمي
 العدل بين الشئئين قواما لاستقامة طرفيه واعتدالهما فلا
 الى هذا ولا الى ذاك

التراكب : وكان اي هو اي انفاقهم المفهوم من
 انفقوا بين ذلك خبر كان وقواما حال مؤكدة فلو قيل
 وكان بين ذلك لكان كافيا ولكن اكذبوا ما لما فيه
 من صريح اللفظ المفهوم للعدل ، والانفاق يكون ولا يكون
 والشان ان يكون ولهذا علق وكان التعليق باذا وقدم نفى
 السرف على نفى التقتير لان الاسراف شرهما ففيه مجاوزة
 الحدود وضياع المال وفي التقتير مفسدته مع بقاء المال

فينفقه في الخير وقد يبقى لغيره فينتفع به .

المعنى : اذا انفقوا اموالهم لم يتجاوزوا الحد المشروع ولم يضيقوا فيقصروا في القدر المطاوب وكان انفاقهم بين التجاوز والتضييق عدلا مستويا لا افراط فيه ولا تفريط وصفهم بالقصد الذي هو وسط بين الغلو والتقصير وهو الحالة بين الحالتين والحسنة بين السيئتين .

تحديد : الاسراف مذموم فهو ما كان في منهي عنه نهي تحريم او كراهة او في مباح قد يؤدي اليهما . فالاول كمن أولم وليمة أنفق فيها جميع ماله واصبح بعدها هو واهله للضيعة والحاجة ، والثاني كمن اولم وليمة دعتـه الى الاستدانة وان كان يظن القدرة على الاداء لان الدين محذر ومستعاذ منه ، والثالث كالا استمرار على ايلام الولاثم مع القدرة عليها في الحال مما قد يؤدي الى احد الامرين المذكورين في المال

والتقتير مذموم ايضا فهو ما كان امساكا عن مأمور به امر وجوب او استحباب او عن مباح يؤدي اليهما ، فالاول كمن يمسك عن اهله شحا حتى يديقهم ألم الجوع والبرد والثاني كمن لا يديقهم بعض الطيبات التي يخص

بها نفسه من السوق و التالت كمن يمسك عن تطيب خاطر
زوجته ببعض الكماليات مع قدرته عليها مما قد يفسد
قلب زوجته عليه او يحملها على ما لا يرضيه

و القوام العدل هو الممدوح فهو ان ينفق في الواجب
و المندوب و ما يؤدى اليهما و يمسك عن المحرم و المكروه
و ما يؤدى اليهما و يتسع في الحلال دون مداومة في الاوقات
و استيفاء لجميع اللذات و استهتار بالمشتبهات

تطبيق : حالة وطننا في الاعم الاغلب في الولايم و المآثم
لا تخلو من السرف فيها الذي يؤدى الى التقدير من بعدها
فيكون الاثم قد اصاب صاحبها بنوعيه و احاط به من ناحيته
و الشر يجر الى الشر و الاثم يهدى الى مثله و على جمعية
العلماء المسلمين الجزائريين علق كثير ممن سمعناهم
يشكون هذه الحالة آمالهم في معالجتها خصوصا في المآثم
حقق الله الآمال . و ثم نوع آخر موجود في غالب القطر
ويكثر في بعض الجبال وهو ان بعض المامورين من بعض
شيوخ الطوائف ياتون بثلة من اتباعهم فينزلون على المنتمين
اليهم من ضعفاء الناس فيذبح لهم العناق ان كانت ويستدين
لشرائها ان لم تكن و يفرغ المزاد و يكنس لهم ما في البيت

ويصبح معدما فقيرا مدينا ويصبح من يومه صبيته
يتضاغون ويمسى اهل ذلك البيت المسكين يطحنهم البؤس
ويميتهم الشقاء ميتات متعددة في اليوم . وشر ما في هذا
الشر انه يرتكب باسم الدين ويحسبه الجاهل انه قربة لرب
العالمين فاما اذا جاء وقت شد الرحال الى الاحياء والاموات
وتقديم النذور والزيارات فحدث هنالك عن انواع السرف
والتكلفات والتضييع للحقوق والواجبات

نصيحة : فيا ليت الذين تاتيهم تلك الوفود يسألونهم فردا
فردا عن حالهم ومن اين جاء وهم بما جاء وهم به من اموالهم
فعساهم ان يطلعوا على بؤس اولئك المساكين فترق لهم
قلوبهم ويرجعوا اليهم ما لهم او يزيدوهم من عندهم
وليقتصروا على من يجدونهم اهل قدرة على ما دفعوه
لهم من اموالهم فهذه نصيحة اذا عملوا بها خففت من الشر
والبؤس عن الزائرين ومن الاثم واللوم عن المزورين . فهل
بها من عاملين ، وفقنا الله والمسلمين

﴿القرآن يصف عباد الرحمن﴾

الصفة السادسة والسابعة والثامنة

(والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون)

سبب النزول : ثبت في الصحيحين — واللفظ لمسلم — ان عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله اي الذنب أكبر قال ان تدعو الله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك . فانزل الله تصديقها « والذين لا يدعون مع الله إلاها آخر الى آثاما » المطابقة بين الآية وسبب نزولها : تواردت الآية والحديث في الاثم الاول على شيء واحد . وتواردا ايضا في الثاني والثالث الا ان في الحديث ذكر فرد من العام هو شر افراده واكبرها اثما وفي الآية ذكر العام ولا شك ان شر قتل النفس هو قتل الولد لما في ذلك زيادة على قتل النفس من الخروج عن حنان الفطرة وارتكاب ضد ما توجبه الرعاية والكفالة وسوء الظن بالله المتكفل برزق الخليفة . كما ان الزنى بحليلة الجار هو شر افراد الزنى لما فيه زيادة على الزنى من انتهاك حرمة الجار وخيانة الامانة فانهم ما تجاوزوا حتى امن بعضهم بعضا وادخل الفساد على أساس التكوين الاجتماعي في الناس وهو التجاور والتقارب المناسبة : لما اثبت لهم اصول الطاعات في الايات المتقدمة نفى عنهم امهات المعاصي في هذه الآية تنبيها على ان الايمان الكامل هو ما تثبت معه الطاعات وتنتفى المعاصي وذلك هو غاية الامتثال للوامر والنواهي وفيه تعريض بما كان عليه المشركون من الاتصاف بهذه المعاصي من دعائهم آلهتهم مع الله وقتلهم النفس

وارتكابهم فاحشة الزنى . وقدم اثبات الطاعات على انتفاء المعاصي تنبيهها على ان من راض نفسه على الطاعة ودانت نفسه بالاخبار والانقياد للاوامر الشرعية ضعفت منه او زالت دواعي الشر والفساد فانكف عن العصية .

نكته استطراذية : فمن هنا نعلم ان على المسلم الذي يعمل لتزكية نفسه ان يواظب على الطاعات بانواعها وان يجتهد فى حصول الانس بها والخشوع فيها فان ذلك زيادة على ما يثبت فيه من اصول الخير يقلع منه اصول الشر ويميت منه بواعثه .

وجه ترتيب هذه الصفات المنهيات : قامت الشريعة على المحافظة على حقوق الله وحقوق عباده وحق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا فمن دعا مع الله غيره واشرك به سواه فقد ابطال حق الله واعدم عبادته ومن قتل النفس فقد تعدى على اول حق جعله الله لعباده بفضله وهو حق الوجود وعمل على ابطال وجودهم وفناء نوعهم وزوال عبادتهم . فلهذا قرن قتل النفس بدعاء غير الله معه . ولما كان الزنى فيه بطلان النسب وفساد الخلق والجسد وذلك مؤد الى الاضمحلال والنزوال والشرور والاهوال قرن بقتل النفس فذلك قتل حقيقي وهذا قتل معنوي **المفردات** : الدعاء هو النداء لطلب امر أو تنبيه عليه . الالاه هو المعبود حرم الله النفس جعل لها حرمة ومنعة فلا يجوز التعدي عليها ومادة ح ر م تفيد المنع فى جميع تصاريفها . الحق هو الثابت من مقتضيات القتل فى الشرع .

التراكيب : وصف النفس بالاسم الموصول المعروف الصلة لائن تحريم الله لها أمر مركوز فى النفوس معروف للبشر بما جاءهم من جميع الشرائع وكان الشئى للفعل بصيغة المضارع للاشارة الى استمرار ذلك النفي .

المعنى : والذين لا يدعون ولا يعبدون مع الله الاها آخر فيشركون به سواه فى عبادتهم اياه ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ويوحّدونه فى ربوبيته

وألوهيته . ولا يقتلون النفس التي جعل الله لها حرمة وحرم قتلها بالسبب إلا الحق
الثابت في دين الله المعارض لحرمتها المقتضي لقتلها بالزنى بعد الاحصان أو الكفر
بعد الايمان أو القتل للنفس العمد العدوان . ولا يزنون فيأتون ما حرم الله عليهم
إتيانه من الفروج ،

مزيد بيان لتوحيد الرحمن

من دعا غير الله فقد عبده : ما يرال الذكر الحكيم يسمي العبادة دعاء
ويعبر به عنها . ذلك لآنه عبادة فعبر عن النوع ببعض افراده وانما اختير هذا
الفرد ليعبر به عن النوع لأن الدعاء مخ العبادة وخلاصتها فان العابد يظهر ذله امام
عز المعبود وفقره امام غناه وعجزه امام قدرته واتمام تعظيمه له وخضوعه بين
يديه ويعرب عن ذلك بلسانه بدعائه وندائه وطلبه منه حوائجه فالدعاء هو المظهر
الدال على ذلك كله ولهذا كان مخ عبادته وقد جاء التنبيه على هذا في السنة المطهرة
فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني استجب لكم رواه احمد والترمذي وابو
داود ورحيم الله والنسائي وابن ماجه . وعن انس (ض) قال قال رسول الله (ص)
الدعاء مخ العبادة رواه الترمذي (رح) فتطابق الاثر والنظر على ان الدعاء عبادة فمن
دعا غير الله فقد عبده واذا كان هو لا يسمى دعاءه لغير الله عبادة فالحقيقة لا ترتفع
بعدم تسميته لها باسمها وتسميته لها بغير اسمها والعبرة بتسمية الشرع التي عرفناها
من الحديثين المتقدمين لا بتسميته

من دعا شيئاً فقد اتخذها إلهاً : لما ثبت ان الدعاء عبادة فالداعي عابد والمدعو
معبود والمعبود إله فمن دعا شيئاً فقد اتخذها إلهه لأنه فعل له ما لا يفعل إلا للاله
فهو وإن لم يسمه إلهاً بقوله فقد سماه بفعله . الا ترى إلى اهل الكتاب لما اتبعوا

أحبارهم ورهبانهم في التحليل والتحرير — وهما لا يكونان الا من الرب الحق العالم بالمصالح — قال الله تعالى فيهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله . وان كانوا لا يسمونهم اربابا فحكم عليهم بفعلهم ولم يعتبر منهم عدم التسمية لهم اربابا بالسنتهم . فكذلك يقال فيمن دعا شيئا انه اتخذها الها نظرا لفعله وهو دعاؤه ولا عبرة بعدم تسميته له إلاها بلسانه وفي حديث عدي بن حاتم الذي رواه الترمذي وغيره انه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سمعه يقرأ هذه الآية انهم لم يكونوا يعبدونهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليس كانوا اذا حرموا عليهم شيئا حرموه واذا أحلوا لهم شيئا أحلوه قال قلت نعم قال فذلك عبادتهم إياهم . قال الامام الجصاص : ولما كان التحليل والتحرير لا يجوز الا من جهة العالم بالمصالح ثم قلد هؤلاء احبارهم ورهبانهم في التحليل والتحرير وقبلوه منهم وتركوا امر الله تعالى فيما حرم وحلل صاروا متخذين لهم اربابا اذ نزلوهم في قبول ذلك منهم منزلة الارباب اه . وعلى وزانه تقول لما كان الدعاء عبادة والعبادة لا تكون الا لاله كان الداعي لشيء من المخلوقات متخذاً اياه إلاها لما نزل به بدعائه اياه منزلة الاله سواء دعاه وحده دون الله او دعاه مع الله ، والعياذ بالله

تحذير وإرشاد : ما اكثر ما تسمع في دعاء الناس « ياربني والشيخ » « ياربني وناس ربي » « ياربني والناس الملاح » وهذا من دعاء غير الله مع الله فايالك ايها المسلم واياه . وادع الله ربك وخالقك وحده وحده وانف الشرك راغم

الوعيد، بالعذاب الشديد

(ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً)

المناسبة : اذا امر القرآن بشيء ذكر فائدته وثمرته للعباد في الدارين ، وكذلك اذا نهى عن شيء ذكر مضرته وسوء عاقبته عليهم فليما ذكر في صدر الآية نفى تلك المعاصي عن عباد الرحمن الذي يفيد النهي عنها ذكر هذا الوعيد لبيان سوء عاقبتها وقبح اثرها

نكتة استطرادية : هذه هي سنة القرآن في التربية وهي انجع الطرق في جعل المأمور والمنهي يمثل للامر والنهي من كل نفسه ويعمل لتسفيذهما بعقله وارادته فالتربية التي تنبئ على امتثال الامر والنهي من غير المعصوم والانقياد لهما انقياداً اعمى — مخالفة لتربية القرآن والخير كله في اتباع القرآن في جميع ما يفيد القرآن المفردات : اسم الاشارة راجع للثلاثة المذكورة من قبل . يلق يقابل ويصادف وينل ، أثاماً ، عقاباً جزاء على اثمه فالاثام جزاء الاثم . يضاعف يزداد له على الاصل فيعذب عذابين او انواعاً من العذاب ، يخلد يبقى وطول البقاء يسمى خلوداً كما قالت العرب في اثافي الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلاع لا لدوام بقائها اذ لا دوام لها وعلى هذا قول المخبل السعدي

الا رماداً هامداً دفعت * عنه الرياح خوالد سحرم

المهان الذليل المحتقر الذي يفعل به ما يذله ويحقره

التراكيب : يضاعف بدل من يلق بدل كل من كل قال الخليل لان مضاعفة العذاب هي لثقي الاثم وعندي انه بدل بعض من كل لان لثقي العذاب جزاء على تلك الاثم يكون في الدنيا والاخرة ومضاعفة العذاب والخلود فيه تكون في

الآخرة وبهذا تكون الآية قد افادت ان المرتكب لما تقدم من المعاصي؛ الشرك وقتل النفس والزنى ينال جزاءه دنيا واخرى وعذاب الآخرة المضاعف المستمر اشد وابقى وهذا هو الجاري على سنة القرآن في التخويف بسوء عاقبة المعصية عاجلا وآجلا والتنبيه على ان الاجل اشد وافدح من العاجل

المعنى : ومن يات هذه الافعال فدعا مع الله الها آخر او قتل النفس التي حرم الله بغير حق او زنى فانه يلقى وينال جزاء معصيته في دنياه وجزاءها في اخراه ويكون عذابه عليها في الآخرة مضاعفاً مزيداً عاياه انواع ويستمر فيه باقياً مذلاً محسراً توجيه : انما ضوعف لاهل هذه الكبائر العذاب لان كل كبيرة منها مضاعفة المفسدات والشرور ففي دعاء غير الله الجهل بالله والكفر بنعمة الله والابطال لحق الله وفي قتل النفس تاييم وتييم وتاليم لغير من قتل وفتح لباب شر بين اولياء القاتل والمقتول وتعد على جميع النوع وتهوين لهذا الجرم الكبير وفي الزنى جنابة على النسل المقطوع وعلى من ادخل عليهم من الزنى من ليس منهم وعلى اصحاب الارث في خروج حقهم لغيرهم وغير ما ذكرنا في جميعها كثير فكانت المضاعفة من باب جعل الجزاء من جنس العمل وهو من مقتضى الحكمة والعدل

تذكر : يذكرنا القرآن بمضاعفة العذاب على كبائر الاثام لنذكر عند ما تحدثنا انفسنا بالمعصية سوء عاقبتها وتعدد شرورها وتشعب مفسدها ومضاعفة العذاب بحسب ذلك عليها لتزدجر وننكف فنسلم من الشر المتراكم والعذاب المضاعف ونفوز باجر التذكر وثمرة التذكير

جعلنا الله والمسلمين ممن انتفع بالذكرى وسلم من فتن الدنيا والآخرة

بمنه وكرمه آمين

﴿القرآن﴾، يصف عباد الرحمن ﴿﴾

استثناء التائبين من المذنبين

(الا من تاب و آمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما)

سبب النزول : اخرج الشيخان عن ابن عباس (ض ما) واللفظ لمسلم قال ابن عباس نزلت هذه الاية بمكة والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر الى مهاناً فقال المشركون وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فانزل الله عز وجل الا من تاب و آمن وعمل عملا صالحاً الى آخر الاية .

المناسبة : لما ذكر تعالى عظام الذنوب واكبر كبائرهما وتوعد بالوعيد الشديد عليها عتبا بذكر التوبة منها ورغب فيها لينبه عباده على طريق الرجوع اليه وان من تاب منهم الى الله تاب الله عليه .

المفردات : التوبة الرجوع الى الله اي الرجوع من معصية الله الى طاعته وذلك بالندم على ما فات والعزم على عدم العود اليه وهذان من عمل القلب . وبالاقلاع عما هو متلبس به وهذا من عمل الجوارح ، الايمان عند ما يذكر مع الاعمال يراد به تصديق القلب وبقينه واطمئنانه بعقائد الحق ، والعمل الصالح هو العمل الطيب المشروع من طاعة الله على العباد سواء كان من عمل الباطن وهو عمل القلب أو من عمل الظاهر وهو عمل الجوارح والعمل الصالح من ثمرات الايمان الدال وجودها على وجوده وكمالها على كماله ونقصها على نقصه وعدمها على اضطرابه ووشك انحلاله واضمحلاله . التبديل التحويل فتجعل الحسنات مكان السيئة . الغفور الستار للذنوب المتجاوز عنها الرحيم المتعم الدائم الانعام .

التراكيب : الا من تاب استثناء من من يفعل استثناء متصلا لان الذي يتوب من جملة من فعل والفاء في فاولئك تفريعية لتفريع التبديل على التوبة وعاطفة لجملة اولئك على جملة استثنى التي قامت مقامها الا . كما عطف عليها الجملة الاخيرة جملة وكان . ونظير هذا من يقيم منكم فله درهم الا زيدا فله درهمان .
المعنى : يستثنى من ذلك الوعيد الشديد بهضافة العذاب والخلود فيه مهاذا من رجع الى الله من الشرك وقتل النفس والزنى بالتوبة الصادقة وشفع توبته بالعمل الصالح الدال على صدق تلك التوبة فهو لاء بتوبتهم وعملهم الصالح يقبلهم الله ويجعل مكان سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا يتجاوز عن ذنوب عباده فقد تجاوز عما كان منهم من شرك أو قتل أو زنى رحيمًا منعما على عباده فقد أنعم عليهم بالחסنات مكان ما تقدم من سيئاتهم .

ترتيب وتوجيه : يكون العاصي في غمرات معصيته فاذا ذكر الله ووفقه الله أسف على حاله ورجع إلى ربه وهذه أول الدرجات في توبته فاذا استشعر قلبه اليقين واطمأن قلبه بذكر الله صمم على الاعراض عن المعصية والاقبال على الطاعة فاذا كان صادقا في هذا العزم فلا بد ان يظهر أثر ذلك على عمله فلهذا روعيت الحالة الاولى فذكرت التوبة والثانية فذكر الايمان والثالثة فذكر عمل عمل صالح .

تأييد واقتداء : روى الائمة عن كعب بن مالك (ض) أحد الثلاثة الذين خلفوا أنه لما جلس بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما تاب الله عليه قال يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله (ص) أمسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني أمسك سهمي الذي بخيبر . فهذا الصحابي الجليل رأى أن من توبته أن يسمل هذا العمل الصالح ليكون دليلا على صدق توبته كما اقتضته الآية فتأييد بفهمه ما قدمنا وكان خير قدوة للتائبين .

وجوه التبديل : لما كانت السيئة لا تنقلب حسنة كان معنى التبديل هو جعل الحسنة مكان السيئة وهذا على وجوه أولها محر السيئات الماضية بالتوبة وكتابة حسنة التوبة وما فيها من عمل باطن وظاهر كما تقدم . وثانيها تركه المعصية وإتيانه بالعمل الصالح فصار يعمل الصالحات بعد ما كان يعمل السيئات . وثالثها أن نفسه كانت بالمعصية مظلمة شريرة فتصير بالتوبة والعمل الصالح منيرة خيرة . فالتبديل في الكتب والعمل وحالة النفس .

مسألستان أصوليتان

الاولى هل يخرج غير التائب من النار : استثنى الله التائب من مضاعفة العذاب والخلود فيه مهانا فبقي غير التائب للخلود والخلود كما قدمنا في الاية السابقة طول البقاء ولا يقتضي التابيد فقد يكون معه التابيد وقد لا يكون ، فمع التابيد لا خروج ومع عدمه الخروج وغير التائب الذي بقي للخلود المطلق في الاية هو المشرك والقاتل والزاني فلما المشرك فلا خروج له من النار لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به وأما القاتل والزاني إذا كانا من أهل الايمان فانهما يخرجان بعد شديد العذاب بما معهما من الايمان لأحاديث صحيحة منها ما رواه الشيخان البخاري ومسلم عن أنس (ض) يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ذرة . زاد البخاري في رواية قتادة عن أنس من إيمان مكان خير ، وهذا من عدل الله ورحمته فانه أذاقهم من العذاب الشديد والهوان المخزي جزاءهم ، ثم أخرجهم من النار وما أضع عليهم إيمانهم ، إن الله بالناس لرعوف رحيم

الثانية هل لقاتل النفس ظلما وعدوانا من توبة : ذهب ابن عباس في المشهور عنه الذي رواه الشيخان وغيرهما أنه لا توبة له وقال في هذه الاية أنها نزلت في

المشركين وذكر سبب نزلها كما تقدم وقال - إثره - فأما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له وقال في هذه الآية أنها آية مكية نسختها آية مدنية وهي آية الفرقان (ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) ومراده بالنسخ التخصيص يعني أن لفظة من في (إلا من تاب) عامة تشمل القاتل فتقتضي بعمومها أن له توبة وأن آية الفرقان التي جاءت في القاتل خصصتها وأخرجته من عمومها، قال ابن رشد - بنقل الابي - وإلى هذا ذهب مالك لأنه قال: «لا يؤم القاتل وإن تاب» قال ابن رشد وهذا لأن القتل فيه حق لله وحق للمقتول وشرط التوبة من مظالم العباد رد التبعات أو التحلل وهذا لا سبيل للقاتل إليه إلا بان يعفو عنه المقتول قبل القتل اه وذهب جمهور السلف وأهل السنة إلى أن للقاتل توبة ونظروا في هذه الآية إلى عموم لفظها لا إلى خصوص سبب نزلها وجعلوا عموم «ومن يقتل» في آية الفرقان مخصصا بمن تاب المستثنى في هذه الآية فابن عباس خصص من تاب بمن يقتل وهم عكسوا فخصصوا من يقتل بمن تاب ويرجح تخصيصهم العمومات الدالة على قبول التوبة من كل مذب مثل قوله تعالى (ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيفا) وقوله (إن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) وقوله (قابل التوب) وحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب له في عمومات كثيرة. والظواهر إذا كثرت تفيد القطع

قدوة في الفتوى: قال ابن رشد: كان ابن شهاب إذا سئل يستفهم السائل ويطلو له فإن ظهر له أنه لم يقتل يفتيه بأنه لا توبة له وإن تعرف بأنه قتل أفتاه بان التوبة تصح. قال ابن رشد وأنه لحسن من الفتوى. فهكذا ينبغي مراعاة الاحوال، في تنزيل الأقوال فإن من لم يقتل يجب التشديد عليه وسد الباب في وجهه ومن قتل ينبغي ترغيبه في الرجوع إلى الله. وفي مراعاة هذا الأصل

والاقتداء بهذا الامام فوائد كثيرة في الحث على الخير والكف عن الشر والحكيم من ينزل الاشياء في منازلها كانت أعمالاً او كانت أقوالاً .

ترهيب : ما أعظم هذا الذنب وما أكبره ، ونعوذ بالله من ذنب يختلف ايمة السلف في قبول توبة مرتكبه وقد أجمعوا على قبول توبة الكافر ، ولعظم شان الدماء كانت اول ما يقضى فيه يوم القيامة بين الخلق فاياك ايها الاخ ان تلقى الله تعالى بمشاركة في سفك قطرة من دم ظلماً ولو بكلمة فان الامر صعب والموقف خطير ،

﴿ بشارة التائبين ﴾

الى رب العالمين

(ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب الى الله متاباً)

المناسبة : لما أفادت الآية السابقة ان التوبة تمحو السيئات ، جاءت هذه الآية اثرها تبين ما لاهلها من جزيل الانعامات وعظيم الدرجات المفردات : المتاب مصدر كالمراجع

التراكيب : خالف جواب الشرط وهو يتوب فعل الشرط وهو تاب بمتعلقه وهو الى الله ومعموله وهو متاباً ، وعبر بالمضارع في الجواب ليفيد التجدد باعتبار تجدد الثوابات للراجعين الى الله ، ونون متاباً تنوين تفخيم وتعظيم

المعنى : ومن تاب التوبة الصادقة وعمل عملاً صالحاً دليلاً على صدق توبته فانه يرجع الى الله الذي يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحسن لقاءهم ويجزل ثوابهم — رجوعاً وأي رجوع رجوع العز والتكريم الى الحليم الكريم

ترغيب : دعا الله بهذا عباده المذنبين حتى لا يتسرب القنوط الى قلوبهم وهو محرم عليهم ولا يحول بينهم وبين خالتهم ذنب وان عظم ، ورغبتهم في التوبة

بأنها رجوع اليه وكفى وإن الرجوع اليه فيه من الخير والشرف فوق ما
تصوره اللفاظ ، فما أحلمه من رب كريم وما أرحمه بعباده المذنبين ، فهذا
داعي الله فاجيبوه وهذا باب الله فاجوه فانكم موما رجعتم اليه لا تطردوا ومهما
قصدم اليه تقبلوا وتكرموا، اللهم فكما فتحت لنا بابك فوفقنا اليه وتب علينا لتتوب
انك أنت التواب الرحيم ،

القرآن، يصف عباد الرحمن ﴿﴾ الصفة التاسعة

(والذين لا يشهدون الزور)

المناسبة : لما وصفهم بالصفات المتقدمة الدالة كلها على كمال أخلاقهم ، واستقامة
أعمالهم في ظواهرهم وبواطنهم ، بانبتائهما على قوة إيمانهم وصحة علمهم ، فكانوا اهل
الحق المتصفين به في علمهم وعملهم ، القائمين عليه في جميع احوالهم — وصفهم هنا
ببعدهم عن الباطل ومشاهده ومجانبتهم لأهله .

المفردات : الشهود هو الحضور الذي يكون فيه إدراك بالحواس أو بالبصيرة .
والشهادة هي الاخبار عن علم حصل عن شهود . ولا يشهدون يحتمل أن يكون
من الشهود وان يكون من الشهادة . والزور أصله الميل ويطلق على الكذب
لأنه ميل عن الحقيقة وعلى كل باطل من الاقوال والاعمال لأنه ميل عن الحق .
التراكيب : إذا كان لا يشهدون بمعنى لا يحضرون فالزور مفعول به وإذا
كان بمعنى لا يخبرون فالزور مفعول مطلق بعد حذف المضاف والاصل ولا
يشهدون شهادة الزور .

المعنى : — على الاحتمال الاول — والذين لا يحضرون مشاهدة الباطل

والاثم من كل مجلس تتعدى فيه الحدود أو تنتهك فيه الحرمات أو يحكم فيه بالجور أو تعظم فيه الطواغيت أو يدعى فيه بدعوى الجاهلية أو تحيا فيه معالم الوثنية أو تطمس فيه السنة النبوية أو يدعى فيه أحد مع الله أو يضرع الى سواه . وعلى الاحتمال الثاني — والذين لا يشهدون شهادة الزور ولا يخبرون إلا بالحق الواقع —

ترجيح وترجيح : يلزم من انهم لا يشهدون مشاهدة الباطل انهم لا يشهدون بالزور ووجهين الاول لانهم إذا كانوا لا يحضرون مجالس الباطل فبالأحرى انهم لا يقولونه ، والثاني ان مشهد شهادة الزور من مشاهد الباطل التي لا يحضرونها . فيكون الوجه الاول اولى لانه اشمل .

توسع في البيان : على انه من بلاغة القرآن ان تأتي مثل هذه الايات بوجوه من الاحتمالات متناسبات غير متناقضات فتكون الآية الواحدة بتلك الاحتمالات كأنها آيات نظير مجيء الآية بقراءتين : فتكون كآيتين مثل قوله تعالى : (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا — فتثبتوا) وقوله تعالى في آية الوضوء : (وارجلكم) بالنصب عطفًا على الوجه فيفيد غسل الأرجل وتلك هي الحالة الاصلية العامة . وبالحذف عطفًا على الرءوس فيفيد مسح الأرجل وتلك هي حالة الرخصة عند لبس الخفاف . فتكون هذه الآية باحتمالها مفيدة تنزههم عن شهود الباطل وعن شهادته موعظة : قل جار الله في الكشف عن هؤلاء الموصوفين من عباد الرحمن : انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزهًا عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركته فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لأن حضورهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه اه وهذا كما قال فان حضور مشاهد الباطل اقرار لاهلها عليها وترك للنهي عن المنكر وقد قال الله تعالى (لعن الذين كفروا

من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) وقال (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) فتعم الآية كل ظالم فلا تجوز لأحد مجالستهم مع ترك التكبر عليهم ولا يكفي ان ينكر ويجلس لانه يكون ببقائه معهم قد اظهر ما يدل على الرضا بفعلهم ونقض بالفعل إنكاره عليهم بالقول وروى الطبراني والبيهقي باسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا يقفن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلماً فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلماً فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه) فاخبر ان اللعنة تنزل على الحاضرين لعدم دفعهم واقتضى انهم غير راضين بقاوبهم وأحرى إذا رضوا فلا يجوز من هذا الحديث وغيره حضور الظالم والقبائح مع عدم دفعها ولو مع عدم الرضا بها وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه — لما وصلوا الحاجر ديار ثمود — « لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم » فاذا كان هذا فيمن ماتوا من أهل العذاب فمثلهم مجالس أهل السوء والفساد فاذا نزلت اللعنة والعذاب عمتهم ومن كان معهم . وشهادة الزور المرادة بالنص على الوجه الزاني أو اللزوم على الوجه الاول من اكبر الذنوب إثماً وشر الكبائر مفسدة تنقلب بها الحقائق وتضيع بها الحقوق وتبطل المعاملات وتزول الشقة بين الناس وتعرض النفوس والاموال والاعراض للاذى والشر وتعدم طمأنينة الناس على ما يعادون من انفسهم ، وصح عنه عليه وآله الصلاة والسلام أنه قال : « ألا أنبئكم باكبائر الكبائر ألا أنبئكم باكبائر الكبائر ألا أنبئكم باكبائر الكبائر »

الكبائر ، الاشرار بالله وعقوق الوالدين ألا وشهادة الزور وقول الزور وكان
متبعنا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا « شفقة عليه » ليت سكت » فجلس لها
وبقي يكررها لعظم شرها وكبر مفسدتها وعظم الاثم فيها على حسب ذلك منها .
أعاذنا الله والمسلمين منها ومن كل زور وذو زور

الصفة العاشرة

(واذا مروا باللغو مروا كراما)

المناسبة : نهي عنهم فيما تقدم حضور مشاهد الزور وأخبرنا أنهم لا يقفون
عند اللغو عند ما يمرون عليه ترقيا في وصفهم بالبعد عن الباطل والاثم والعبث ومجانبة
أهله .

المفردات : اللغو مصدر لغا يلغو أي قال باطلا فهو القول الباطل ومثله الفعل
الباطل من كل ما لا فائدة فيه ولا نتيجة له مما شأنه ان يلغى ويطرح والكريم
الخالص العنصر فهو الزكي غير المتدنس ومن مقتضى ذلك حسن اخلاقه واستقامة
أعماله وسلامته من الرذائل

التراكيب : كراما حال من فاعل مروا الثاني ايبسين وصفهم عند المرور
المعنى : وإذا مروا في طريقهم بقول يقال أو فعل يفعل مما لا فائدة فيه
جاوزه معرضين عنه ازكيا غير متدنسين بشيء منه ولا ملتفتين لاهله .

موعظة : في الاقبال على اللغو شغل للبال به وتكدير للخاطر بظلمته وتضييع
لوقت فيه ولكل كلمة تسمعها أو فعلة تشهدها أثر في حياتك وإن قل وقد يعقبها
ضدها فتسزل بعد ما شغلت وعطلت وقد يردفها مثلها فتثبت وتنمو وتسوء عاقبتها
ولو بعد حين ، وبقدر ما تلتفت الى اللغو تلتفت عن كرمك وبقدر ما يعلق بك منه
ينقص من زكائك وبقدر ما تتساهل بالوقوف عليه تقرب من الدخول فيه وإذا
دخلت فيه واستأنست باهله جرك إلى الزور وعظائم الامور وللشر أسباب متواصلة

وأنساب متصلة يؤدي بعضها إلى بعض فينتقل المغرور الغافل من خفيها إلى جليها
ومن صغيرها إلى كبيرها فالخازم من لم يسامح نفسه في قليلها وتباعد كل البعد
عنها وعن أهلها وقد هدتنا هذه الآيات للهدى وذكر عباد الرحمن لنقتدي
والله المستعان ولا توفيق إلا به

﴿القرآن﴾ يصف عباد الرحمن ﴿﴿﴾ الصفة الحادية عشرة

(والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما
وعميانا)

المناسبة: لما وصفهم فيما تقدم باعراضهم عن الباطل
ومجانبتهم لأهله وبعدهم عنه وصفهم هنا باقبالهم على الحق
واكبابهم عليه متفهمين مستبصرين .

الالفاظ: ذكروا وعظوا ونهوا. بآية ربهم هي آيات
القرآن، وفيها التذكير بآيات الاكوان التي ترى بالعيان
الخروار هو السقوط كسقوط الساجد، الاصم فاقد حاسة
السمع او الذي لا يتدبر ما يسمع فلا ينتفع به وهو المراد
هنا. والاعمى فاقد حاسة البصر او الذي لا يعتبر فيما يبصر
فلا ينتفع به ويكون الاعمى بمعنى فاقد الادراك القلبي
وهو عمى البصيرة وما هنا يحتمل الوجهين الاخيرين

التراكيب: عبر باذا لأن التذكير مما هو واقع محقق كالذي يسمع من القرآن في الصلاة ومن الخطب في الجمع. وبني الفعل للنائب لأن التذكير بالآيات يجب قبوله من أي مذكر كان. وصماً وعمياناً حال من الواو ضمير الجماعة في لم يخرّوا والنفي منصب على الحال التي هي قيد في الكلام وإذا كان الكلام مقيداً بقيد كما هنا فان النفي ينصب على ذلك القيد في غالب الاستعمال العربي ونظيره ما رأيت زيداً ركباً نفيّاً للركوب لا للرؤية، ولا يلقاني مسلماً نفيّاً للسلام لا للقاء. فلم ينصف عنهم الخرور وإنما نفى عنهم الصمم والعمى عند الخرور.

المعنى: ومن صفات عباد الرحمن انهم اذا ذكرهم مذكر بآية ربهم التي أنزلها على نبيهم (ص) بما فيها من ذكر مخلوقاته وانعاماته وأيامه في أوليائه وأعدائه ووعدته ووعدته وترغيبه وترهيبه — أقبلوا عليها وأكبوا على سماعها بآذان واعية، وابصار راعية، وقلوب حاضرة، وعقول متدبرة، لا كمن يقبلون عليها ويكبون على سماعها ولكنهم لا يسمعون ولا يبصرون لأنهم لا يعقلون ولا يتدبرون

عموم الحاجة للتذكير : بعد ما ذكر تعالى من صفات عباد الرحمن ما ذكر ذكر استماعهم للتذكير تنبيهاً على ان التذكير محتاج اليه في كل حال فاذا كان الموصوفون بتلك الصفات يحتاجون اليه فغيرهم اولى وذلك لأن الغفلة من طبع الانسان ودوام الغفلة صداً للقلوب وصقالها هو التذكير ،

قبول التذكير من كل مذكر : كما تقبل كلمة الحق من كل قائل كذلك يقبل التذكير من كل مذكر ولو كان المذكر من كمل العباد والمذكر من اوساطهم او اذناهم وفي عباد الرحمن المذكورين في استماعهم اذا ذكروا من اي مذكر — القدوة الحسنة

ما يكون به التذكير : قال الله تعالى (فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي) (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فالتذكير بآيات القرآن والأحاديث النبوية هذا هو التذكير المشروع المتبوع والدواء الناجع المجرب ولذلك تجد مواضع السلف كلها مبنية عليه راجعة اليه ، والنصح لله ولرسوله وللمسلمين في لزوم ذلك والسير عليه

اقسام الناس عند التذكير: الناس عند تلاوة آيات القرآن على قسمين معرضين ومقبلين . فالمعرضون غير المؤمنين ، والمقبلون على قسمين مقبلين بظاهرهم دون باطنهم ومقبلين بظاهرهم وباطنهم فالمقبلون بظاهرهم دون باطنهم هم المنافقون والمقبلون بظاهرهم وباطنهم على قسمين مستمعين مستبصرين حاضرين متدبرين ، وغافلين غير متدبرين غير سامعين ولا مبصرين ، والاقسام كلها مذمومة الا قسم المقبلين بظواهرهم وبواطنهم المستمعين المستبصرين وهذا القسم هو الذي وصف به عباد الرحمن ، فكانوا مبشرين لأهل الاعراض من الكافرين والمنافقين ولاهل الغفلة وعدم التدبر من المؤمنين

تحذير وتنبيه : قد صورت الآية حالة المؤمن بالقرآن الذي ينكب عليه ويتلقاه بالقبول ثم لا يتفهمه ولا يتدبره بحالة الأعمى في عدم انتفاعه بما انكب عليه تقبيحاً لعدم التفهم والتدبر من المؤمن للآيات وتحذيراً منه وتنبيهاً على ان الانتفاع بالقرآن الذي تفتح به البصائر وتتسع به المدارك وتتهذب به الاخلاق وتتركز به النفوس وتتقوم به الاعمال وتستقيم به الاحوال —

انما يكون بتفهمه وتدبره دون مجرد الانكباب عليه بلا تفهم ولا تدبر

امر وارشاد: الآيات الدالة على طلب التدبر والتفهم
 لآيات القرآن العظيم كثيرة منها هذه الآية ومنها قوله
 تعالى (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر
 اولوا الالباب) فعلينا ان نحضر قلوبنا عند سماعها ونستعمل
 عقولنا في فهمها ونحمل أنفسنا على الاتعاظ بها فاذا صدقت
 النية وأخلص التوجه فتح على العبد من وجوه العلم
 والعمل — باذن الله — بما لم يكن له في بال، وان الله
 وصف هذا الكتاب بأنه مبارك لزيادة خيراته وتيسيره
 للذاكرين — ترغيباً لنا في فهمه وتدبره واستنزال
 الخيرات واستزادة البركات منه، فاقبل — ياخي — على
 القرآن على استماعه وعلى تفهمه والزم ذلك حتى يصير
 عادة لك وملازمة فيك — تر من فضل الله واقباله عليه
 ما يدنيك — ان شاء الله — ويعليك ويعود بالخير الجزيل
 عليك، والله نسأل لنا ولكم الاقبال على الله بتلاوة وتدبر
 كتابه، والتأدب بجميع آدابه حتى نحشر في زمرة احبابه،
 بمنه وكرمه آمين .

﴿ القرآن ﴾ ، يصف عباد الرحمن ﴿﴾ الصفة الثانية عشرة

(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة
اعين واجعلنا للمتقين إماما)

المناسبة لما وصفهم في الآيات المتقدمة بما دل على أنهم أهل خير وكمال
في أنفسهم وصفهم في هذه بما دل على محبتهم الخير والكمال لغيرهم من قرابتهم
أزواجهم وذرياتهم ومن سواهم، وقدم الأزواج على الذرية لانهم الصق ولانهم الاصل
فقه هذه المناسبة : فطر الانسان على محبته لنفسه لتحمله هذه الفطرة على
المحافظة عليها والدفاع عنها وتكملها بكل وجوه الكمال . وكان من مقتضى هذه
المحبة رغبته في الوجود والبقاء ومما هو قوة في وجوده ومظهر لبقائه ان يرى الناس
على فكره وصفاته وأحواله فيرى نفسه ممثلة في غيره وافكاره وصفاته وأحواله
باقية ببقاء الناس ، فالخير الكامل من طبعه ومن مقتضى فطرته انه يحب انتشار
الخير والكمال في الناس . والشرير الناقص من طبعه ومن مقتضى فطرته انه يحب
انتشار الشر والنقص فيهم فلذا كان لازماً لتتيم وصف عباد الرحمن ذكر محبتهم
الخير والكمال لغيرهم

ميزان من هذه المناسبة : قد تخفى عليك دخيلة نفس الانسان فيمكنك أن
تعرفها بما يجري به لسانه فاذا جرت كلماته بمحبة انتشار الخير والكمال فهو
من أهلها واذا جرت بالصد فهو على الضد . فما يحب الانسان انتشاره هو الدليل
على صفات نفسه وهو ميزان تزنه به في الشر والخير والنقص والكمال .

المفردات : الهبة العطاء من غير عوض ولا تكون على الحقيقة التامة الا من

الله فهو الغني الوهاب ، من ابتدائية فمن ناحية الأزواج والذرية تكون قرّة العين ، الأزواج جمع زوج وهو يصدق على الرجل والمرأة والنساء شقائق الرجال وهذا الدعاء كما يكون من المؤمنين يكون من المؤمنات كما تصدق الايات المتقدمة على الموصوفين من الصنفين بتلك الصفات . الذرية ما تناسل منهم من ابنائهم وبناتهم وقرئت بالافراد لاتحادها في اصل النسل وبالجمع لاختلافها في الفروع والانساب ، قرّة العين بردها ان كانت من الثمر وهو البرد . وسكونها ان كانت من القرور بمعنى الاستقرار، الامام هو المتبع المقتدى به وافرد لان المراد به الجنس وحسن الافراد من جهة اللفظ لوقوعه فاصلا على وزان ما قبلها وما بعدها ، ومن جهة المعنى ان ائمة الهدى كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم بالسير على الصراط المستقيم واتحاد وجهتهم بالقصد الى الله تعالى وحده

التراكيب: قرّة عين تركيب كناية فاذا كانت القرّة من القر فهو كناية عن السرور لان العين في حالة السرور باردة واذا سالت منها دموع في حالة الفرح كانت باردة واذا كان الانسان في حالة حزن فالعين تكون سخنة بسبب ثورة النفس وآلامها التي تثير الحرارة فاذا سالت منها دموع الحزن كانت سخنة ومما يقال على هذا اقر الله عين المحق واسخن عين المبطل وجاء عليه قول ابي تمام فاما عيون العاشقين فأسخنت * واما عيون السامتين فقرت

فقرة اعينهم على هذا كناية عن سرورهم بازواجهم وذريتهم بما يرونهم عليه من الخير والكمال واعانتهم لهم عليهما واذا كانت القرّة من القرور فهي كناية عن سكون النفس بحصولها على ما يرضيها من الأزواج والذرية ومعنى هذا ان النفس اذا لم تحصل على ما يرضيها تعلقت بما عند غيرها وتشوفت اليه فتمتد اليه العين ويطمح اليه البصر ، واذا حصلت على ما يرضيها زالت عن ذلك التعلق وانكفت عن التشوف فسكنت العين فام تمتد الى غير ما عندها ولم يطمح البصر

اليه ، ولهذا كما كان قرور العين كناية عن رضى النفس وسمكونها كان امتداد العين كناية عن اضطراب النفس وتشوفها وتعلقها وعليه قوله تعالى : (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) . فقرة اعينهم على هذا كناية عن رضى انفسهم بما يـكون لهم من ازواج وذرية موصوفين بالصفات المرضية من طاعة الله في القيام بوظائف الدين والدنيا وإعانتهم لهم على القيام بها

المعنى : ومن صفات عباد الرحمن انهم يدعون ربهم يسألونه ان يهب لهم ازواجاً وذرية تقر بهم اعينهم بان يـكونوا موصوفين بمثل صفاتهم سائرين على منهاجهم معينين لهم على ما هم عليه ، ويسألونه ان يـكونوا على اكمل حال في العلم والعمل والاستقامة يقتدي بهم فيها المتقون

الاحكام : الاول ، التزوج وطلب النسل هو السنة سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنة اصحابه عليهم الرضوان وسنة عباد الرحمن وائس من شريعته الخفيفة السمحة ؛ الرهبانية ، والتبتل وقد رأى قوم من الزهاد رجحان الانقطاع الى العبادة على التزوج والاشتغال بالسعي على الزوج والذرية فرد عليهم ائمة الدين والفتوى بان في التزوج اتباعاً للسنة وفي السعي على الاهل ما هو من أعظم العبادة وفي التزوج تكثير سواد الامة والمدافعين عن الملة والقائمين بمصالح الدين والدنيا وفي هذا ما فيه من الاجر والمثوبة ، وفي التبتل مخالفة السنة وانقطاع النسل وضعف الامة وتعطيل المصالح وخراب العمران وكفى بهذا كله شراً وفساداً

الثاني : سؤال العبد من ربه ان يهب له من الزوج والذرية ما تقر به عينه يقتضى سعيه بقدر استطاعته لتحصيل ذلك فيهما ليقوم بالسببين المشروعين من السعي والدعاء فعليه ان يختار ويجتهد عند ما يريد التزوج وان يقصد الى ذات الدين وفي اختياره واجتهاده في جانب الزوجة سعي في اختيار الولد فان الزوجة الصالحة

شأنها ان تربى اولادها على الخير والصلاح . ثم عليه ان يقوم بتعليم زوجته وأولاده وتهذيبهم وإرشادهم فيكون قد قام بما عليه في الابتداء والاستمرار مع دوام التضرع الى الله تعالى والابتغال

الثالث : ما تقر به الاعين يحصل به الفرح والسرور فالفرح والسرور بما هو خير وطاعة من حيث انه نعمة من الله وفضل — محمود ومشروع ،

الرابع : طلب الرتب العليا في الخير والكمال والسبق اليها والتقدم فيها مما يدعونا اليه الله ويرغبنا بمثل هذه الاية فيه كما قل تعالى : فاستبقوا الخيرات . لان طلب الكمال كمال ولان من كانت غايته الرتب العليا ان لم يصل الى أعلاها لم ينحط عن ادناها وان لم يساو اهلها لم يبعد عنهم . ومن لم يطلب الكمال بقي في النقص ومن لم تكن له غاية سامية قصر في السعي وتوانى في العمل فالمؤمن يطلب اسمى الغايات حتى اذا لم يصل لم يبعد وحتى يكون في مظنة الوصول بصحة القصد وصدق النية

الخامس : من الدين الاقتداء باهل العلم والعمل والاستقامة في الهدي والسمت السادس : لا يكون الامام الا تقياً فاق غيره في التقوى

السابع : ان اقتداء المتقين بايتمهم انما هو في التقوى لانهم ما كانوا ائمة الا بها فالاية أفادت ان المتقين يقتدون بايتمهم وان ايتمهم متقون مثلهم وأكمل منهم في التقوى وان اقتداءهم بهم في التقوى لا في غيرها فمن حاد عنها فلا امامة له

تعيين : الخير الكامل المقدم في الخير والكمال المقتدى به فيهما إذا طلب الامامة من حيث الخير والكمال نفسيهما ومن حيث حمل الناس عليهما بالقدوة الصالحة له فيهما لأن فعل الخير والاتصاف بالكمال دعوة اليهما بالعمل وهي أبلغ من الدعوة بالقول ومن حيث انتشارهما في الناس وسعادة الناس بهما — إذا طلب الامامة من هذه الجوانب فطلبه مشروع محمود وموطلب عباد الرحمن المذكور في الاية ،

وإذا طلب الامامة والتقدم لأجل التراس والتقدم فهذا طلب مذموم من عمل المتكبرين لا من عمل المتقين ، فعلى الداعي أن يميز هذا التمييز ليخلص القصد في دعائه ويكون على صواب فيه

كلمة عظيمة من إمام عظيم : قال مجاهد التابعي الجليل الثقة أثبت المفسر الكبير : « أئمة نقتدي بمن قبلنا ويقتدي بنا من بعدنا » ذكره البخاري ورواه ابن جرير بسند صحيح . يعني ان الذين يقتدي بهم الناس من بعدهم هم الذين كانوا يقتدون بسلفهم الصالح من قبلهم فالذين أحدثوا في الدين ما لم يعرفه السلف الصالح لم يتتدوا بمن قبلهم فليسوا أهلاً لأن يقتدي بهم من بعدهم فكل من اخترع وابتدع في الدين ما لم يعرفه السلف الصالح فهو ساقط عن رتبة الامامة فيه .

سلوك واقتداء : كان الارابي الجاهل المشرك يأتي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيؤمن به ويصحبه يتعلم منه الدين وياخذ عنه الهدي فيستنير عقله بعقائد الحق وتتنزك نفسه بصفات الفضل وتستقيم أعماله على طريق الهدى فيرجع إلى قومه هادياً مهدياً إماماً يقتدى به ويأخذ عنه كما اقتدى هو بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ عنه . فعلى كل مومن أن يسلك هذا السلوك فيحضر مجالس العلم التي تذكره آيات الله وأحاديث رسوله ما يصح عقيدته ويركي نفسه ويقوم عمله وليطبق ما يسمعه على نفسه وليجادد في تنفيذه على ظاهره وباطنه وليداوم على هذا حتى يبلغ إلى ما قدر له من كمال فيه فيرجع وهو قد صار قدوة لغيره في حاله وسلوكه وطلبه علم الذين وهبوا نفوسهم لله وقصروا أعمارهم على طلب العلم لدعوة الخلق إلى الله هم المطالبون على الاخص بهذا السلوك ليصاوا إلى إمامة الحق . وهداية الخلق ، على أكمل حالة ومن أقرب طريق فاللهم وفقنا واهدنا إلى سنة نبينا . إذا اقتدينا وإذا اقتدي بنا آمين يا رب العالمين

﴿ جزاء عباد الرحمن ﴾

(اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدین فيها حسنت مستقرا ومقاما)

المناسبة وفقهها : لما ذكر في الايات المتقدمة صفاتهم واعمالهم ذكر ما اعد لهم من عظيم الجزاء على تلك الاعمال تنبيهها على ما وضعه تعالى بمشيئته وحكمته ورحمته من الارتباط بين هذه الاعمال وهذا الجزاء وافضائها اليه افضاء السبب لمسببه ليسعى الراجون لهذا الجزاء من طريق هذه الصفات وهذه الاعمال كما يسعى لسائر المسببات من طريق اسبابها وتوتى جميع الامور من ابوابها . وفي هذا حث لأهل هذه الاعمال على التمسك بما هم به عاملون . وتنبيه لأهل الغرور على بطلان ما هم به مغترون « والكيس من دان نفسه (قهرها على الطاعة وحاسبها) وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني »

المفردات : يجزون : يعطون في مقابلة اعمالهم . الغرفة البيت الاعلى فوق بيت وال فيه للجنس فيصدق بالمتعدد

صبروا حبسوا نفوسهم، والباء فيه سببية . يلقون من لقي
 بمعنى يجدون . ويلقون من لقي بمعنى تلقيهم الملكة اى
 تقابلهم وتتلقاهم . تحية دعاء بالحياة . سلاما دعاء بالسلامة
 خالدين باقين ، مستقرا ، هو المكان الذى ينتهى اليه من
 غيره ويثبت فيه ، مقاما هو المكان الذى يقام ويمكث فيه .

التركيب : جملة اولئك مستانفة بيانيا فان تلك
 الصفات والاعمال تشوق السامع الى معرفة مآلهم وثمره
 اعمالهم فيسال عنهما فكانت الجملة جوابا لذلك السؤال المقدر
 وعرف المسند اليه بالاشارة تنبيها على ان استحقاقه للمسند
 كان بما تقدم من صفات . و جملة حسنت مستانفة بيانيا لأن
 من عرف حالتهم من الحياة والسلامة والبقاء يتشوف لمعرفة
 حال مكان هذه الحياة السالمة الباقية فيسال عنه فوقع
 جملة حسنت موقع الجواب عن هذا السؤال المقدر . وهي
 انشائية أفادت انشاء مدح الغرف بالحسن وتعظيم ذلك الحسن
 وقدم المستقر لان اول الحلول استقرار والمقام ببقاء الاستقرار
 واستمرار المكث .

المعنى : اولئك الذين ذكرت صفاتهم وافعالهم يعطون
 جزاء اعمالهم البيوت العلالى في الجنة بسبب صبرهم

وحبسهم لأنفسهم على الطاعات والمجاهدات وكفهم لها عن المعاصي والشهوات وتلقاهم الملائكة بالتحية والسلام باقين في هذا النعيم المقيم وسكنى علالي الجنة التي هي احسن مستقر ينتهي اليه الانسان ومقام يمكث فيه .
تطبيق حديث وفقهه : « روى الشيخان عن ابي سعيد الخدري (ض) ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :
ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم . قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى — والذي نفسي بيده — رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين . » فهذا الحديث بين ان اهل الغرف هم أكمل المؤمنين وأعلامهم درجة في الجنة بهذا المقدار من البعد فهم الموصوفون بالصفات المذكورة في الآية المتقدمة على أتمها ومن لم يكن مثلهم فيها لم يكن في منازلهم التي جوزوا بها عليها وكان على حسب حظه من الايمان في منزلة من منازل اهل الجنة الذين يتراءون اهل الغرف ، فدرجات اهل الجنة في منازلهم على حسب سلوكهم في اعمالهم » ام حسب الذين اجتروحوا السيئات

ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء محياهم ومماتهم . ساء ما يحكمون . وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »
 دلالة : دلت الآية على السبب الذي افضى بهم الى هذا الجزاء العظيم وهو أعمالهم ، ودلت على السبب الذي تمكنوا به من القيام بهذه الاعمال وهو الصبر لقوله تعالى « بما صبروا »
 ومن أعظم الحكمة معرفة الاسباب والمسببات وارتباط بعضها ببعض فلا ينهض بامثال المأمورات وترك المنهيات الا من صبر والصبر خلق من الاخلاق التي تتربى وتنمو بالمران والدوام فواجب على المكلف ان يجعل تربية نفسه عليه وتعويدها به من اكبر همه اذ لا يقوم بالتكاليف الشرعية الا به بل ولا يستطيع الحياة في هذه الدار الدنيا الموضوعة على المحنة والابتلاء الا اذا تمسك بسببه .

بيان القرآن للقرآن : في هذه الآية انهم يلقون تحية وسلاماً وقد بين من يتلقاهم بذلك في قوله تعالى « وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » فالملائكة هم الذين يتلقونهم بالسلام والدعاء لهم بالطيب وهو مما يدخل في التحية لان من طيبهم طيب حياتهم . وما اكثر

ما تجد في القرآن بيان القرآن فاجعله من بالك تهتد — ان شاء الله — اليه

اقتداء ورجاء : هؤلاء هم السالكون وما ذكر من أعمالهم وأحوالهم هو سلوكهم ولما سلكوا الصراط المستقيم بالعمل المستقيم انتهى بهم السير الى احسن قرار ومقام الى دار النعيم المقيم في جوار الرحمن الرحيم . فاذا اشتقت الى نهايتهم فتمسك ببدايتهم وزن اعمالك باعمالهم . واحوالك باحوالهم ، فاذا جعلت ذلك من همك ، وحملت عليه نفسك بصادق عزمك وصبرت كما صبروا رجوت ان تظفر بما ظفروا فالله نسال لنا ولك وللمسلمين صحة الاقتداء وصدق الرجاء وحسن الجزاء » ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون . »

﴿ قيمة العباد عند ربهم ﴾

بقدر عبادتهم

(قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف
يكون لزاما)

المناسبة : قد أفادت الآية السابقة كمال حال عباد الرحمن في نفوسهم وعقولهم وأخلاقهم وأعمالهم وأفادت عظيم منزلتهم عند ربهم ورفيع ما أعد لهم من درجاتهم جزاء على صالحاتهم وحسناتهم وجاءت هذه الآية تفيد أن ذلك المقام العظيم الذي كان لهم عند ربهم إنما هو بسبب عبادتهم ، وتعلمن للناس أن عبادتهم هي الشيء الوحيد الذي يكون لهم به قدر وقيمة عند ربهم وبدونها لا يكون لهم وزن عند خالقهم ولا يكونون شيئاً يبالي به . وإن من كذب وخلع بتكذيبه ربة العبادة فقد حقت عليه كلمة العذاب وهو واقع به لا محالة .

المفردات : ما يعبا بكم ما يبالي بكم . العبء هو الثقل فما عبات به بمعنى ما كان له عندي وزن ولا مقدار وعبات به كان له عندي وزن ومقدار وعدي بالباء لأنه بمعنى ما باليت . دعاؤكم عبادتكم من إطلاق الجزء على الكل . كذبتم كفرتم فلم تعبدوا . لزماً ملازماً واصل الزام مصدر لازم واختير هنا للتشبيه على أن بين المكذبين والعذاب ملازمة من الطرفين فهم بتكذيبهم قد ألزموا أنفسهم العذاب فلأزمهم العذاب .

التراكيب : جواب لولا محذوف لدلالة ما تقدم وتقدير الكلام لولا دعاؤكم ما عبا بكم وجملة فقد كذبتم واقعة موقع التعليل لكلام مقدر تقديره — والله أعلم — لا يعبا بكم فقد كذبتم أي لانكم قد كذبتم فالفاء تعاليمية واما

جملة فسوف يكون فمتسببة عما قبلها فالفاء فيها سببية . وضمير يكون عائداً على العذاب المفهوم من المقام

المعنى: قل للذين أرسلت إليهم ما يبالي بكم ربي ولا يعبا بكم ولا يكون لكم عنده وزن لولا إيمانكم وعبادتكم فاذا كذبتكم وكفرتكم فهو لا يعبا بكم وسوف يكون العذاب ملازماً لكم بسبب تكذيبكم

تحرير في المخاطب: المخاطبون هم الذين كذبوا ثم انما حتمهم بسبب التكذيب من العذاب الملازم فهو خاص بهم وبالمكذبين أمثالهم . وما كان موجهاً لهم من جهة انهم عباد — وهوان الله لا يعبا بهم لولا دعائهم — فهو عام لجميع العباد لماثلتهم لهم في العبودية لله واستثناء الله عنهم وفرض العباد عليهم وعدم التقدير لهم الا بها تفسير اثيري : أخرج البخاري في كتاب التفسير . عن عبد الله بن مسعود (ض) قال خمس قد مضى الدخان والقمر والروم والبطشة والزام . ورواه في مواضع أخرى من صحيحه ، وعنى بالدخان المذكور في قوله تعالى « يوم تأتي السماء بدخان مبين » والقمر المذكور في (وانشق القمر) وبالبطشة المذكورة في (يوم نبطش البطشة الكبرى) وباللزام المذكور في هذه الآية . وفسر ابن مسعود البطشة الكبرى بيوم بسدر وفسر الزام به أيضاً فهي في الحقيقة اربع وعدها خمساً باعتبار الوصفين البطش والملازمة . وفسر الحسن الزام بعذاب يوم القيامة ومن عادة السلف انهم يفسرون اللفظ بما يدخل في عمومه دون قصد للقصص عليه ولا منافاة حينئذ بين التفسيرين فيكونون قد توعدوا على تكذيبهم بلزوم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة

ترهيب : رتب لزوم العذاب على التكذيب فاعظم العذاب لاكمل التكذيب وهو تكذيب الكفر ثم اصناف العذاب لازمة لتكذيب العصيان بالعدل والحكمة في التقسيم والترتيب

استنباط : لما كانت مقادير العباد عند ربهم بحسب عبادتهم فلا نبيا — عليهم السلام — أعلى الناس منزلة عند الله هم أعظمهم عبادة لله وهم اتقاهم له واشدهم خشية منه . وقد قال النبي (ص) فيما رواه مالك وغيره « والله اني ارجو ان اكون أخشاكم لله واعلمكم بما اتقي » وقال ايضا « والله اني لا اتقاكم لله واعلمكم بحدوده » سؤال استطرادى وجوابه : كيف يخشى وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر . أجاب العلماء عن هذا باجوبة منه أنه لا يخشى العقاب ولكنه يخشى العقاب ومنها — وهو قول الأكثر — انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر بشرط امتثاله لما أمر به . ذكر هذين ابن العربي في « القبس » ومنها انها خشية الاجلال ومشاهدة عظمة الربوبية وانه لا يجب عليه تعالى شيء وهذان الحديتان الصحيحان من الأدلة الصريحة عند أهل العلم على ان العبادة الشرعية الاسلامية لا تتجرد من الخوف حتى عبادة أفضل الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين تعليل : الانسان مهيا للكمال بما فيه من الجزء النوراني العاوي وهو روحه ومعرض للسقوط والنقصان بما فيه من أخلاط عناصر جزئه الارضي الظلmani وهو جسده ولا يخلص من كدورات جثمانه ولا ينجو من أسباب نقصانه إلا بعبادة ربه التي بها صفاء عقله وزكاء نفسه وطهارة بدنه في ظاهره وباطنه فعبادة ربه يكمل فيرقى في مراتب الكمال ويدنو من الملاء الاعلى عند الرب الاعلى ذي الجلال والاكرام فالله طيب لا يقبل الا الطيب وإليه يصعد الكام الطيب ولا طيب ولا كمال إلا للعابدين فلا قيمة ولا قبول لغيرهم عند رب العالمين .

إرشاد وتحذير : قد بين لك الطريق الذي يوصلك الى مولاك ، ويرقيق في مراتب كمالك وعلاك ، وما هو إلا عبادة ربك . فمن عبدك له في اختيارك واضطرارك وفي جميع أحوالك ، واحذر ان تعتمد على شيء غير عبادته ، واحذر ان تتوجه بشيء من عبادتك لغيره ، ومن عبادتك — بل هو منح عبادتك — دعاؤك وسؤالك

واستغاثتك فإياك أياك أن تتوجه بشيء منه لغيره فكن دائماً عبداً لله وكن دائماً عبداً له وحده فذلك حقه عليك وذلك السبب الوحيد الذي ينبغي عليك ويعليك والله نسأل أن يقصرنا على عبادته ويديمنا على الاخلاص في التوجه إليه حتى نلقاه على ملة الاسلام وهدى عباده الصالحين آمين يا رب العالمين

التصحیح

مهما يبذل المصحح من العناية لا يسلم من الغلط وبالاخص عند تعدد غلطات المصنف فمصحح القام ومصحح الملقط كلاهما معرض للسو
وفيما يلي بيان الصواب لتصحيح اخطاء في الصفحات والاسطر التالية

ص س	الصواب	ص س	الصواب
١٦ ١١	«وامرت ان اكون من المسلمين»	١٣ ٣٢	بحذف
٩ ٢٠	تعرف ان ما	١٦ ٣٣	والحجب
٦ ٢٣	كانه لما لم	٢ ٣٥	ليتاني
١٠ ٢٥	تميزنا	٨ ٣٦	ووعدا
٢ ٢٧	وابغضها	١ ٤٤	في اي
١٢ ٢٧	الفقية	١٥ ٤٤	الذين
١٦ ٢٧	كله	١٦ ٥٨	نفى
١٨ ٢٧	البدع	١٧ ٥٨	نفى
٣ ٣٢	التشبيات	٦ ٦٢	لله
٤ ٣٢	بلازم		

فهرس

صفحة	صفحة
الصفة الاولى والثانية	خطبة افتتاح ٢
الصفة الثالثة ٥٤	التذكير ٦
» الرابعة ٥٥	الفرقان ٩
» الخامسة ٥٧	منزلة الرسالة ١٣
» ٧، ٦، والثامنة ٦٢	فتنة العباد ١٨
مزيد ببيان لتوحيد الرحمان ٦٤	ندامة الظالم ٢٢
الوعيد بالعذاب الشديد ٦٦	شكوى النبي ٢٦
استثناء التائبين ٦٨	التسليم والتسليم ٣٠
مسالتان اصوليتان ٧٠	تثبيت القلوب ٣١
بشارة التائبين ٧٢	الحق والبيان في آيات القرآن ٣٦
القرآن يصف عباد الرحمان ٧٣	حشر الكفار إلى النار ٣٨
الصفة التاسعة	من اكرام الله عبده ٤٠
الصفة العاشرة ٧٦	عدم طاعة الكافرين ٤٣
الصفة الحادية عشرة ٧٧	تعاقب الليل والنهار ٤٥
قيمة العباد عند ربهم ٩٢	القرآن يصف عباد الرحمان ٤٩

للقرآن

إصدار هذا الجزء تجديد لذكر فقيه الإسلام والعروبة
فضيلة الأستاذ الرئيس سيدي الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وبعث
لأثره العلمية الخالدة ، وتمكين للمستفيدين بالاطلاع على
أساليبه في درس التفسير إحياء لهداية القرآن العظيم .

وبهذا العمل المتواضع تبدأ المطبعة الجزائرية وهي من
مؤسساته رحمه الله في تنفيذ ما يعتقد ببقية أصحابها أنهم مطالبون
به من إحياء آثاره وفي إحيائها حياة .

كان من الواجب أن نبدأ بنشر مجالس التذكير وهي
من أهم أبواب جملة « الشهاب » وكان من الطبيعي أن نبدأ
بمقدمات هذا الباب من الجزء الأول ولكن كمية الورق
المناسب التي استطعنا الحصول عليها بالتقشير والدخار اضطررتنا
للاقتصار على طبع ما نشر في أعداد من الشهاب تفسيراً لآيات
القرآن من سورة « الفرقان » .

والله نسأل أن يوفقنا للوفاء للأستاذ عليه الرحمة والرضوان
بالتبات على مبادئه ونشر آثاره .

أبوالقاسم خليل

الحمد لله

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 095933030